

الإخلاص

سر التقدم

تأليف

آية الله العظمى

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(دام ظلّه)

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

مركز الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص ب ٥٩٥٥ / ١٣ شوران

بسم الله الرحمن الرحيم

وما أمروا
إلا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء

سورة البينة: الآية: ٥

كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة على سيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وآله الطيبين
الطاهرين وسلّم تسليمًا كثيرًا.
أما بعد..

فالإخلاص سر من أسرار الله تعالى، يودعه في قلب من يشاء من عباده، ليسيروا بهداه،
لا توقفهم عقبة، ولا تلهيهم مغريات الدنيا الفانية، حتى يصلوا إلى الغاية التي ما بعدها غاية،
والفوز الذي ليس فوقه فوز، كما يقول الإمام علي عليه السلام: «الإخلاص غاية»^(١).
ويقول عليه السلام في مقام آخر: «الإخلاص أعلى فوز»^(٢).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩١.

والإخلاص ليس طريقاً إلى ثواب الآخرة فحسب، بل هو طريق إلى تقدم الإنسانية، وهو سرُّ كل تطور يشهده البشر.

فالإخلاص في تربية الأبناء يبني مجتمعاً متماسكاً وقادراً على البقاء والتقدم والرقى. والإخلاص في التعليم والتعلم يسمو بالمجتمعات إلى مراتب عالية في الحضارة والعلم. والإخلاص في النصيحة والمشورة يؤسس أرضاً خصبة لنمو شجرة الأخوة الإنسانية بين أفراد المجتمع.

والإخلاص في الدفاع عن الوطن يبعد أيدي الأعداء الذين يحاولون المساس بالوطن وأرضه وشعبه وخيراته.

وبعبارة موجزة يمكن القول: إن الإخلاص في العمل - أي عمل كان - سيؤدي إلى الوصول إلى الأهداف المرجوة من ذلك العمل، بل هو أقرب الطرق وأكثرها استقامة إلى تلك الأهداف، لأنه طريق لا تعثره عثرات الجهل، ولا يجيم عليه ظلام الشر، ولا يقود مرتاديه إلى مهاوي الردى والضلال.

فما قولك إذا كان الإخلاص متوجهاً من العبد إلى المعبود عزوجل وإلى أوليائه عليهم السلام؟ وما قولك حين ترى كيف يتفانى العبد في ذات ربه المقدسة، ويخلص له في كل حركة أو قول أو فعل أو سكون؟

إنه بلا ريب نعم الإخلاص، فإنه مما يضمن لصاحبه أجر الدارين: الدنيا والآخرة، فإن «الإخلاص عبادة المقربين»^(٣) كما يقول سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي هذا الكتاب ينقل لنا سماحة الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته) جملة من الكرامات التي نالها المخلصون، ومنهم الشعراء والأدباء والعلماء وطلبة العلم وغيرهم من المؤمنين، من الذين عاشوا في مختلف الأزمنة والأمكنة، فمنهم المخضرمين ممن عاشوا في الجاهلية والإسلام، ومنهم من ولد في الصدر الأول للإسلام، أو في الفترات التالية، وحتى عصرنا هذا، ولم يجمعهم إلا شيء واحد، ألا وهو إخلاصهم لذات الله عزوجل ولأوليائه المقربين عليهم السلام، مما جعلهم يستحقون أن يخلدهم التاريخ، وأن يكونوا وتكون قصصهم مناراً تهتدي به الأجيال من بعدهم، وأن تفتخر بهم هذه الأجيال، وتذكرهم بأجل كلمات

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٣.

التبجيل والاحترام، وكيف لا وقد أخلصوا في أعمالهم، وأخلصوا في أهدافهم، وأخلصوا في علاقاتهم فيما بينهم، وأخلصوا . قبل هذا وذاك . في علاقتهم مع الله عزوجل وأوليائه الصالحين ﷺ .

هذا، وإن هدف سماحة الإمام الشيرازي (أعلى الله درجاته) من جمع هذه القصص هو أن يؤكد على حقيقة الإخلاص، وأن يرسم للأجيال طريقاً واضحاً، ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾^(٤)، يوصل إلى مستقبل زاهر لهذه الأمة الإسلامية، ويخرج بها من عهد الانحطاط والتبعية الفكرية والثقافية والمادية كغيرها من الأمم، وليصل بها أخيراً إلى الحياة التي ينظر إليها الله جل وعلا بعين الرضا والقبول إن شاء الله تعالى .

وهذا العمل إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على إخلاص هذا الرجل المتفاني في ذات الله تعالى، وإن جمعه (أعلى الله درجاته) لهذه القصص والعبر ووضعه إياها بين أيدي الناس سهلاً يسيرة إنما يدلُّ على ما يمكنه سماحته لأبنائه المؤمنين من محبة مخلصه، وما يتمناه لهم في حياتهم الدنيا وفي حياتهم الأخرى .

سائلين المولى أن يجزي الإمام الراحل خير جزاء المحسنين، وأن يوفقنا وجميع المؤمنين للإخلاص في العمل إنه سميع مجيب .

مركز الرسول الأعظم ﷺ للتحقيق والنشر

بيروت - لبنان

١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م

(٤) سورة طه: ١٠٧ .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٥).

الإخلاص معناه تصفية السر عن ملاحظة ما سوى الخالق^(٦) وهو واقع لنتائج، عرفها الإنسان أو لم يعرفها، والغالب عدم المعرفة بها، مثل عدم معرفة الإنسان للأدوية والعقاقير الطبية، والتي تم التوصل إلى تركيب أغلبها باستغراق الكثير من الجهد والوقت، ولا يكون ذلك فقط لأجل الحذر من العذاب الأخروي وكسب الرضوان الأكبر المتمثل بالجنان فحسب، بل للدنيا أيضاً كالكاسب والشاعر والمتفقه والفلكي والمحاسب وغيرهم ممن استوعبهم المجتمع البشري، فإذا شرع الإنسان في عمله وعلمه بإخلاص وإيمان نجح نجاحاً منقطع النظير، ذلك من غير فرق بين الإخلاص للعمل - إن لم يكن مؤمناً - أو لله إذا كان مؤمناً موقناً.

وفي هذا الكتاب: (الإخلاص سر التقدم) ذكرنا جملة من الشعراء والأدباء الذين تميزوا بالإخلاص فتقدموا وبقوا وتركوا بصماتهم في وجه التاريخ.

﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾^(٧) مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(٨).

نسأل الله أن يوفقنا للإخلاص ودرجاته العالية وأن يقرن أعمالنا برضاه وهو الموفق المستعان.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

شوال / ١٤١٩ هـ

(٥) سورة البينة: ٥.

(٦) يقول صاحب (منية المرید) ص ١٣٢: والأمر الجامع للإخلاص تصفية السر عن ملاحظة ما سوى الله تعالى بالعبادة، قال تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص﴾ سورة الزمر: ١-٢، وقال تعالى: ﴿وما أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَامَةِ﴾ سورة القيامة: ٥.

(٧) سورة يوسف: ٥٧.

(٨) راجع غوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٠١ ح ١٤٨، وفيه: في الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

لا زلت مؤيداً بروح القدس

روي في الحديث: إن رجلاً من قبيلة قريش كانوا يهجون النبي ﷺ: كابن الزبيري، وأبي سفيان، وعمرو بن العاص، وضرار بن الخطاب، وكان حسان بن ثابت^(٩) يدافع عن رسول الله ﷺ ويرد عليهم، فتركوا هجاء الرسول ﷺ خوفاً من لسان حسان بن ثابت، وكان هو ناصر النبي ﷺ باللسان واللسان، ومخصوصاً هو وعبد الله بن رواحة فقال لهما رسول الله ﷺ: «لن تزالا تؤيدان بروح القدس ما ذبتما عنا بألسنتكما»^(١٠).

والمراد بروح القدس: هو جبرئيل الأمين ﷺ كما قالوه في تفسير الآية: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(١١).

عن ابن الكلبي أنه قال: كان حسان لساناً شجاعاً أصابته علة فجبن وفر، وقيل: إنه لم يشهد قط مشهد قتال أو حرب وذلك لجبنه وقلة شجاعته.

وفي بعض التواريخ: عن صفيّة بنت عبد المطلب عمّة الرسول الأكرم ﷺ أنها قالت: سعدنا يوم أحد على الآطام. وهي رؤوس التلال. وكان معنا حسان بن ثابت، ونحن في محل مرتفع فجاء نفر من اليهود يرومون التلال التي كانت عليها بعض النسوة فقالت صفيّة له: (دونك يا حسان) فقال: (والله لا أستطيع القتال)، ثم سعد يهودي إلى محل النسوة فقالت صفيّة: فناولني حسان السيف فضربت عنق اليهودي ورميت برأسه إلى رفاقه فانكشفوا من حولنا^(١٢).

(٩) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمر بن زياد الأنصاري المدني الخزرجي، من الشعراء المشاهير في زمن الجاهلية والإسلام. ويكنى أبا الوليد وأبا عبد الرحمن وأبا الحسام، عاش حسان مائة وعشرين عاماً، ستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام، ولد عام (٦٠) قبل الهجرة (٥٦٣م) أي قبل عشرين عاماً من عام الفيل، كان يكتسب بشعره في الجاهلية، أما في الإسلام فقد كان شاعر الرسول الأعظم ﷺ فكان النبي ﷺ يعطيه ويحنو عليه، وما زال يعيش من ذلك حتى ذهب إلى الرفيق الأعلى.

(١٠) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٩٦ ح ١٢٢٤٩.

(١١) سورة البقرة: ٨٧، و٢٥٣.

(١٢) راجع بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٤٤ ح ٩.

هذا، ولطائف أشعاره كثيرة لا يسع المقام تفصيلها، وخير ذلك كله بإجماع المتدبرين، ما كان قد أنشده في رسول الله ﷺ، ويقال: إنه قيل له: لان شعرك في الإسلام يا أبا الحسام؟ قال: إن الإسلام يحجز عن الكذب، يعني: أن الشعر لا يحسنه إلا الإفراط في الكذب والتزيين به، والإسلام يمنع من ذلك، وقال أيضاً: لا يجيد شعراً من يتقي الكذب.

وقيل: أصدق بيت قالته العرب قول أسيد بن أبي إياس في سيدنا رسول الله ﷺ:

وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ كُورِهَا
أَبْرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ

ونظيره في الصدق قول حسان بن ثابت في رسول الله ﷺ:

وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
وَمَا مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفَقَدُ^(١٣)

وأما قول النبي ﷺ: «أصدق كلمة قالها لبيد»:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ
وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ^(١٤)

فتلك أصدق كلمات لبيد ضمن شعره وأدبه، لا أصدق من تلك الكلمات مطلقاً.

ولما تصدق أمير المؤمنين علي عليه السلام بخاتمه في حال الركوع، وتشرف بنزول الآية المباركة فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١٥)، كبر النبي ﷺ، فأنشأ حسان يقول:

أَبَا حَسَنٍ تَقْدِيكَ نَفْسِي وَمُهَجَّتِي
وَكُلُّ بَطِيءٍ فِي الْهَوَى وَمُسَارِعِ
أَيَذْهَبُ مَدْحِي وَالْمَحْبَرُّ ضَائِعاً
وَمَا الْمَدْحُ فِي جَنبِ الْإِلَهِ بِضَائِعِ
فَأَنْتَ الَّذِي أُعْطِيتَ إِذْ كُنْتَ رَاكِعاً
زَكَاةً فَدَتَكَ النَّفْسُ يَا خَيْرَ رَاكِعِ
فَأَنْزَلَ فِيكَ اللَّهُ خَيْرَ وَلَايَةٍ

(١٣) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢١٠.

(١٤) راجع بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٩٥.

(١٥) سورة المائدة: ٥٥.

وَوَثَّهَهَا فِي مُحْكَمَاتِ الشَّرَائِعِ^(١٦)

وقد ذكر سبط ابن الجوزي شعراً لحسان بن ثابت في نزول الآية الكريمة في شأن علي
عليه السلام وهو هذا:

مَنْ ذَا بَخَاتِمِهِ تَصَدَّقَ رَاكِعاً
وَأَسْرَرَهَا فِي نَفْسِهِ إِسْرَاراً؟
مَنْ كَانَ بَاتَ عَلَى فِرَاشِ مُحَمَّدٍ
وَمُحَمَّدٌ أَسْرَى يَوْمَ الْغَارِ؟
مَنْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ سُمِّيَ مُؤْمِناً
فِي تِسْعِ آيَاتٍ ثَلَاثِينَ غِزَاراً؟^(١٧)

ومن ذلك أيضاً شعر حسان - يوم الغدير -، وقد استأذن رسول الله ﷺ قائلاً: ائذن لي
يا رسول الله! أن أقول في علي عليه السلام أبياتاً تسمعهن؟ فقال ﷺ: «قل على بركة الله».
فقام حسان فقال:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ
يُحْمَمٌ فَأَسْمِعْ بِالرُّسُولِ مُنَادِيَا
وَقَدْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَنِ أَمْرِ رَبِّهِ
بِأَنَّكَ مَعْصُومٌ فَلَا تَكُ وَانِيَا
وَبَلَّغْتَهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ رَبُّهُمْ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ وَحَادَرْتَ بَاغِيَا
عَلَيْكَ فَمَا بَلَّغْتَهُمْ عَنِ إلهِهِمْ
رَسَالَتَهُ إِنْ كُنْتَ تَخْشَى الْأَعَادِيَا
فَقَامَ بِهِ إِذْ ذَلِكَ رَافِعٌ كَفَّهُ
بِكُفِّ عَلِيٍّ مُعَلِّنَ الصَّوْتِ عَالِيَا
فَقَالَ: فَمَنْ مَوْلَاكُمْ وَوَلِيُّكُمْ
فَقَالُوا: وَلَمْ يُبَدُوا هُنَاكَ تَعَامِيَا
إلهِكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِيَّتْنَا
وَلَنْ تَجِدَنَّ فِينَا لَكَ الْيَوْمَ عَاصِيَا

(١٦) راجع الصراط المستقيم: ج ١ ص ٢٦٥.

(١٧) راجع شواهد التنزيل: ج ١ ص ٢٣٧.

فَقَالَ لَهُ: قَمِّ يَا عَلِيُّ! فَإِنِّي
 رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَاماً وَهَادِيَا
 فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ
 فَكُونُوا لَهُ أَنْصَارَ صِدْقٍ مَوَالِيَا
 هُنَاكَ دَعَا اللَّهَ وَاللَّهُمَّ وَالِ وَلِيِّهُ
 وَكُنْ لِلَّذِي عَادَى عَلِيًّا مُعَادِيَا
 يَا رَبِّ أَنْصُرْ نَاصِرِيهِ لِنَصْرِهِمْ
 إِمَامَ هُدًى كَالْبَدْرِ يَجْلُو الدِّيَاجِيَا

فأقره النبي ﷺ واستحسن شعره^(١٨). لكن بعض أصحاب كتب الرجال يسقطون أمثال هذا الرجل من أقلامهم، ومن حسابهم لأسباب غير خفية، مع أنهم يذكرون كثيراً من المغمورين الجاهيل الذين هم بحسب الظاهر أقل شأنًا منه بكثير. هذا، وإن حسان بن ثابت لم يمدح رسول الله ﷺ ولا أمير المؤمنين ﷺ رغبة أو رهبة، أو خوفاً من سيف مسلط على رقبته إن لم يمدحهما، كما لم يكن يأمل جائزة سنية تقتضي الملق والتودد الزائف، بل مدحهما لأنهما (صلوات الله وسلامه عليهما) يستحقان ذلك وأكثر. وحيث إنه لا توجد رهبة ولا رغبة في مدحهما، فإن عمل حسان هذا ما هو إلا الإخلاص المحض، والعمل الذي لا تشوبه شائبة من شوائب الدنيا وسفاسفها، والذي لا يقدم عليه إلا الأخيار الأطهار الذين كان أمير المؤمنين ﷺ يبحث عنهم حين قال: «أين الذين أخلصوا أعمالهم لله وطهروا قلوبهم بمواضع ذكر الله»؟^(١٩).

(١٨) راجع بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٨.

(١٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٨٩٨.

جزاك الله خيراً يا ابن رواحة

روى الصحابي البراء بن عازب الأنصاري، قال: أُخْبِرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّ أَبَا سَفِيَانَ يِنَالُ مِنْهُ وَيَهْجُوهُ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ^(٢٠) حَاضِراً فِي الْمَجْلِسِ، فَطَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَأْذُنَ لَهُ بِالرَّدِّ عَلَيْهِ شِعْراً.

فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ مَطْلَعُ الرَّدِّ بَعْبَارَةً: ثَبَتَ اللَّهُ؟» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: نَعَمْ، أَنَا أَنْشَأْتُ:

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ حَسَنِ
تَثْبِيَتِ مُوسَى وَنَصْرًا مِثْلَ مَا نُصِرُوا
فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا».

وله في مدح الإمام علي عليه السلام:

لِيَهْنَ عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرِ حُضُورُهُ
وَمَشْهَدُهُ بِالْخَيْرِ ضَرْبًا مُرْعَبًا
وَكَائِنٌ لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ غَيْرِ خَامِلٍ
يُظَلُّ لَهُ رَأْسُ الْكَمِيِّ جُدًّا
وَعَادَرَ كَبِشَ الْقَوْمِ فِي الْقَاعِ نَأْوِيًّا
تَحَالَ عَلَيْهِ الزَّعْفَرَانُ الْمُعَلَّلًا
صَرِيحًا يُنَوِّءُ الْقَشْعَمَانَ بِرَأْسِهِ
وَتَدْنُو إِلَيْهِ الضَّبْعُ طَوَلًا لِتَأْكُلَا^(٢١)

إن عبد الله بن رواحة تطوع بوزع داخلي صميمي ليردّ على الشاعر الهاجبي المناوي بما يقل غربه ويثلم شراسته، ولم يكن هناك أي إلزام له من قبل رسول الله ﷺ، وإنما هو

(٢٠) هو عبد الله بن رواحة بن امرئ القيس من بني مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، أسلم عبد الله بن رواحة وشهد بيعة العقبة الثانية سنة (٦٢٢م) وكان أحد النقباء الاثني عشر، ثم عمل على نشر الإسلام في المدينة فأصبح عظيم القدر أثيراً عند الرسول ﷺ، ولقد زاد في مكانته أنه كان يعرف الكتابة فاتخذ الرسول ﷺ كاتباً وكذلك كان شاعراً يرد على المشركين، وكان لعبد الله بن رواحة مقدرة عسكرية ظاهرة، شهد مع الرسول ﷺ معركة بدر الكبرى واستشهد في مؤتة في جمادي الأول سنة (٦٢٩/هـ٨م) وهو من الشعراء والرخاز المحسنين المجيدين.

(٢١) راجع بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٩٢.

الالتزام النابع من الوجدان المسلم الرفيع، الذي يرى لزاماً عليه أن يؤكد انتماءه ويخلص لدينه، والإخلاص أكثر ما يتجلى في الذود عن العقيدة بالنفس والمال واللسان، لذا انبرى شاعر أهل البيت عليه السلام عبد الله بن رواحة ليزود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام متوخياً الطاعة، ولا شيء غير الطاعة، واضعاً نفسه في مملكة السعداء الذين وصفهم يعسوب الدين أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «السعيد من أخلص الطاعة»^(٢٢).

(٢٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٦٧ ح ٣٢٧٠.

بردة الرسول ﷺ

روي أنه كان لكعب بن زهير^(٢٣) أخ شقيق اسمه بجير، شاعر مثله، لما ظهر الإسلام تأخر بجير وكعب عن الدخول فيه، ولكن لما زاد انتشاره أسلم بجير سنة (٥٧هـ)، ثم شهد فتح مكة، أما كعب فإنه بقي على الشرك وأخذ بهجاء أخيه بجير وهجاء رسول الله ﷺ فأهدر النبي ﷺ دمه، فأرجف الناس بقتله فضاقت عليه الأرض بما رحبت، فعزم في سنة (٩هـ) على أن يستأمن إلى الرسول ﷺ فجاء سراً إلى المدينة واستشفع بأبي بكر ثم سار على إثره حتى دخل المسجد فقال كعب للرسول ﷺ: يا رسول الله رجل يبائعك على الإسلام وبسط يده وحسّر عن وجهه وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا كعب بن زهير، فأمنه رسول الله ﷺ.

فقد روى أصحاب السير: أن كعباً وبجيراً ابني زهير خرجا إلى أبردق العراق، فقال بجير لكعب: أثبت في غنمنا هنا حتى آتي هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - فأسمع كلامه، وأعلم ما عنده، فأقام كعب، ومضى بجير إلى النبي ﷺ فسمع منه وآمن به، فبلغ ذلك كعباً، فغضب وقال:

ألا بَلَّغَا عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً
فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَيَحَاكَ هَلْ لَكَ
سَقَاكَ بِهَا المَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً
وَأَهْلَكَ المَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ
فَفَارَقْتَ أَسْبَابَ الهُدَى وَتَبَعْتَهُ
عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيِكَ غَيْرُكَ دَلَّكَ
عَلَى مَذْهَبٍ لَمْ تُلْفِ أُمَّاً وَلَا أَبَاً
عَلَيْهِ وَلَمْ تُعْرِقْ عَلَيْهِ أَحَاً لَكَ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسِيفٍ

(٢٣) كعب بن زهير بن أبي سلمى، الشاعر الجاهلي المشهور، كان من فحول الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، وكان يقال: أشعر الشعراء في الجاهلية زهير، وأشعرهم في الإسلام ابنه كعب.

وَلَا قَائِلٍ إِلَّا مَا عَثَرْتَ لَعَاءَ لَكَا

وأرسل تلك الأبيات إلى أخيه بجير، فلما بلغته أخبر بها رسول الله ﷺ فلما سمع قوله: سقاك المأمون، قال ﷺ: «مأمون والله»، وذلك أنهم كانوا يسمون رسول الله ﷺ (المأمون)، ولما سمع أيضاً ﷺ قوله: (على مذهب)، ويروى: (على خلق لم تلف أمماً) البيت، قال ﷺ: «أجل، لم يُلفِ عليه أباه ولا أمه»، ثم إن رسول الله ﷺ قال: «من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله»، وذلك عند انصرافه ﷺ من الطائف، فكتب إليه أخوه بجير بهذه الأبيات:

أَمِنْ مُبْلِغٍ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي
نَلُومُ عَلَيْهَا بِاطْلًا وَهِيَ أَحْرَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْعُرَى وَلَا السَّلَاتُ وَحَدَهُ
فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا تَنْجُو وَلَيْسَ بِمَفْلِتٍ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ
وَدَيْنُ أَبِي سُلَمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ

وكتب بعد هذه الأبيات: ما أحسبك ناجياً، فإن كان لك في نفسك حاجة فصر إليه، فإنه يقبل من أتاه تائباً، ولا يطالبه بما تقدم قبل الإسلام.

فلما بلغ كعباً الكتاب أتى إلى قبيلة مزينة لتجيره من رسول الله ﷺ، فأبت ذلك عليه، فحينئذ ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان عدوه، فقالوا: هو مقتول، فقال قصيدته المشهورة يمتدح فيها النبي ﷺ ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة، ومطلعها:

بَأَنْتَ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ
مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُقْدَ مَكْبُولُ
وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا
إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
يَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ
كَأَنَّهَا مَنَهْلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

ومنها:

تَسْعَى الوَشَاةُ بِجَنَبَيْهَا وَقَوْهُمْ
نَرَاكَ يَا بَنَ أْبِي سُلَمَى لَمَقْتُولُ
وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ:
لَا أَهَيْتَكَ إِيَّيَّ عَنكَ مَشْعُولُ
فَقُلْتُ: خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ
فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مُفْعُولُ
كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَادِبَاءَ مُحْمُولُ
أَنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهَلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ
قُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذَنِي بِأَقْوَالِ الوَشَاةِ وَلَمْ
أَذْنَبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ

ومنها:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
مُهَنَّادٌ مِّنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورُ
فِي عُصْبَةٍ مِّنْ فُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُورُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَّعَاذِيلُ
شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لَبُوسَهُمْ
مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

ثم خرج حتى وصل المدينة فنزل على رجل من قبيلة جهينة كانت بينهما معرفة، فأتى به إلى المسجد، ثم أشار إلى مكان رسول الله ﷺ فقال: هذا رسول الله ﷺ فقم إليه واستأمنه على نفسك، وعرف كعب رسول الله ﷺ بالصفة التي وصفها له الناس، وكان مجلس رسول الله ﷺ بين أصحابه مثل موضع المائدة يلتفون حوله حلقة حلقة، فيقبل على

هؤلاء فيحدثهم، ثم يقبل على المجموعة الأخرى فيحدثهم، فقام إليه حتى جلس بين يديه فوضع يده في يده، ثم قال: يا رسول الله! إن كعب بن زهير جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به، قال صلى الله عليه وآله: «نعم». ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف كعباً، ولا رآه قبل ذلك، قال: يا رسول الله! أنا كعب بن زهير.

فقال صلى الله عليه وآله: «الذي يقول ما يقول»، ووثب رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله! دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال صلى الله عليه وآله: «دعه عنك فإنه قد جاءنا تائباً نازعاً».

ثم أنشد للنبي صلى الله عليه وآله قصيدته المذكورة، فلما بلغ إلى قوله:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
مُهَنَّادٌ مِّنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ

أشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى من حوله أن اسمعوا.

ويروى: أن كعباً أنشد في قصيدته: من سيوف الهند، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قل: من سيوف الله».

فلما أتى على آخرها رمى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله عليه بردة كانت عليه، ولذلك سميت هذه القصيدة بـ (البردة).

وقال أبو بكر ابن الأنباري: إن معاوية بذل لكعب في البردة عشرة آلاف، فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً، فأخذها منهم وهي التي كانت تلبسها الحكام في الأعياد^(٢٤).

وكان إسلام كعب بعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله من الطائف وغزوة تبوك، وذلك في السنة التاسعة من الهجرة.

ومن شعره الذي يشهد بحسن عقيدته، ويدل على إخلاص سريره، قوله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

صَهْرُ النَّبِيِّ وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
فَكُلُّ مَنْ رَامَهُ بِالْفَخْرِ مَفْخُورٌ
صَلَّى الصَّلَاةَ مَعَ الْأَمِيِّ أَوْهُمُ
قَبْلَ الْعِبَادِ وَرَبُّ النَّاسِ مَكْفُورٌ^(٢٥)

(٢٤) راجع الدرجات الرفيعة: ص ٥٤٠.

(٢٥) راجع بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٧٤.

إن من يقرأ البردة (قصيدة كعب) قراءة متأنية، ويتعمق فيها بترتّب، يتلمس فيها السبك الجيد والجزالة المشتهاة، ويتذوق النواحي الجمالية فيها، حيث لا ضعف ولا ارتباك ولا خلل، وكل بيت يمهد لتاليه، والأجزاء مرتبطة بعريّ لا انفصام لها، فلا نفرة في النسيج الكلي للقصيدة، ولا فجوة بين بيت وآخر، والبعض - كما يقال - يأخذ برقاب البعض. وهذه الوحدة العضوية إن دلت على شيء فإنها تدل على صدق الشاعر وإيمانه بما يقول، وإخلاصه للدين وللرسول ﷺ، ولا بدع أن يكون كعب بهذه القصيدة مصداقاً لقول إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إذا استخلص الله عبداً أهمه الديانة»^(٢٦)، إذ لا يوجد شعر صادق رفيع المستوى يثير انتباه السامعين دون أن يكون هناك إلهام يوقد شعيرة الشاعر ويخصب قريحته. توفي كعب بن زهير سنة (٢٦هـ/٦٤٥م).

(٢٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٣٨٠.

أين يا أبا ليلي؟

روي أن النابغة الجعدي^(٢٧) كان ممن فكر في الخلق أيام الجاهلية وأنكر الخمر والسكر، وهجر الأزام، واجتنب الأوثان، وقال في الجاهلية كلمته التي أولها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يُقْلَهَا لِنَفْسِهِ ظَلَمًا

وكان يقفو أثر دين إبراهيم الخليل عليه السلام والحنيفية، ويصوم ويستغفر، ولما بُعث النبي صلوات الله عليه وآله وفد عليه، وأنشده قصيدته التي كان مطلعها:

خَلِيلِيَّ غُضًّا سَاعَةً وَتَهَجًّا رَا

وَلَوْ مَا عَلَى مَا أَحَدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا

فلما وصل إلى قوله:

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ فِي مَجْدِنَا وَسَنَا نَائِنَا

وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظَهْرَا

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى

وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ نَيْرَا

فقال له رسول الله صلوات الله عليه وآله: «أين يا أبا ليلي؟» قال: إلى الجنة، قال صلوات الله عليه وآله: «أجل، إن شاء الله تعالى»، فلما فرغ من إنشادها، قال له النبي صلوات الله عليه وآله: «أجدت لا يفيض الله فاك» مرتين^(٢٨).

قيل: فلقد رئي وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوها، وما انفض من فمه سن ولا انفلت، وأن أسنانه لكالبرد المنهل.

وفي رواية نصر بن عاصم الليثي: أنه أنشد النبي صلوات الله عليه وآله من القصيدة قوله:

وَلَا خَيْرَ فِي جِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ

(٢٧) النابغة الجعدي هو أبو ليلي حسان بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة، كان سيداً في قومه، قدم على الرسول صلوات الله عليه وآله سنة (٥٩هـ) وأنشده شعراً فأعجب به الرسول صلوات الله عليه وآله، ثم شهد معركة صفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام وكان في ذلك الحين يسكن الكوفة، وهو شاعر مخضرم مطبوع فصيح يجري في شعره على السليقة، وإنما سمي (النابغة) لأنه أقام مدة لا يقول الشعر، ثم نبغ، فقيل له: (النابغة)، وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام، وهو أسن من النابغة الذبياني، وقارب عمره مائة وثمانين سنة.

(٢٨) راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٤٧ ح ١٤٠.

بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

فقال له النبي ﷺ: «صدقت، لا يفيض الله فاك»، فمكث بعد ذلك، كلما سقط له
سن عادت أخرى بدلاً عنها^(٢٩).

وروي: أن النابغة دخل على الإمامين الحسن والحسين ابني الإمام علي عليه السلام فقالا له:
«أنشدنا من شعرك يا أبا ليلي» فأنشدهما:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ
مَنْ لَمْ يَقُلْهَا لِنَفْسِهِ ظَلَمَ مَا
الْمَوْلُجِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ، وَفِي
النَّهَارِ لَيْلًا يُفْرِجُ الظُّلْمَ مَا
الْحَافِضُ الرَّافِعُ السَّمَاءِ عَلَى الْـ
أَرْضِ وَلَمْ يَبْنِ تَحْتَهَا دَعَمًا
ثُمَّ عِظَامًا أَقَامَهَا عَصَبًا
ثُمَّ لَحْمًا كَسَاهُ فَالتَّحَمَّ مَا
مِنْ نُطْفَةٍ قَدَّرَهَا مُقَدَّرَهَا
يَخْلُقُ مِنْهَا الْإِنْسَانَ وَالنَّسَمَ
وَاللَّوْنَ وَالصَّوْتِ وَالْمَعَايِشَ وَالـ
أَرْزَاقَ شَيْءٍ وَفَرَّقَ الْكَلِمَ مَا
ثُمَّ لَا بُدَّ أَنْ سَيَجْمَعُكُمْ
وَاللَّهُ جَهْدًا شَهَادَةَ قَسَمًا
فَاتْتَمِرُوا الْآنَ مَا بَدَا لَكُمْ
وَاعْتَصِمُوا مَا وَجَدْتُمْ عَصَمًا
فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَلَا
عِصْمَةَ مِنْهُ إِلَّا لِمَنْ عَصَمَا

(٢٩) راجع كتاب الغيبة للطوسي: ص ١١٩.

وهي قصيدة طويلة اقتطفنا منها ما يصف فيه التوحيد والإقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار.

فقال الحسنان عليهما السلام: «يا أبا ليلى! كنا نروي هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت». فقال: يا ابني رسول الله! إني لصاحب هذا الشعر، وأول من قاله، وإن السروق من سرق شعر أمية^(٣٠). وهو القائل:

قَد عَلِمَ الْمَصْرَانَ وَالْعِرَاقُ
أَنَّ عَلِيًّا فَحَلُّهَا الْعَتَاقُ
أَبْيَضُ جَحَجَاحٌ لَّهُ رَوَاقُ
وَأُمُّهُ غَالِي بِهَا الصِّدَاقُ
أَكْرَمُ مَنْ شُدَّ بِهِ نِطَاقُ
إِنَّ الْأُلَى جَارُوكَ لَا أَفْأَقُوا
لَهُمْ سِبَاقٌ وَلَكُمْ سِبَاقُ
قَد عَلِمَتْ ذَلِكَُمُ الرَّفَاقُ
سُقْتُمْ إِلَى تَهْجِ الْهَدَى وَسَاقُوا
إِلَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا عِرَاقُ
فِي مِلَّةٍ عَادَتْهَا النَّفَاقُ^(٣١)

وذكر أبو نعيم في (تاريخ أصفهان) وابن قتيبة: أن معاوية كان أخرج النابغة إلى أصفهان، وكانت وفاته فيها سنة (٦٥ هـ) بعد أن كُفَّ بصره.

ومن خلال القراءة المتمعنة لكثير من الشعر الجاهلي يعرف الإنسان أن الشاعر الجاهلي كان يتوخى في شعره الفخر بأجداده وأجداد آبائه ويُبعد الصيت ونباهة الذكر واجترار المآثر، وكان يرى خلوده الشخصي في الذكر فقط، ولكن هذا كله تغير بمجيء نور الإسلام، فأصبح الشاعر الملتزم بالصدق يتوخى الخلود الأخروي، نابذا وراء ظهره كل مفاخر الدنيا ومظاهرها، ومبتعداً عن الملق والنفاق، ولذلك نرى موهبته تتفتق بالصدق والإخلاص. وتاريخ هذا النابغة مصداق واضح جلي لما أصبح عليه الشعراء بعد أن تنوروا بنور الإسلام، فهو يروي لنا

(٣٠) راجع الدرجات الرفيعة: ص ٥٢٣.

(٣١) راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١١٥ ح ٨٧.

مدى إخلاص سريرته حتى انعكس ذلك شعراً صادقاً فياضاً قاده إلى الخلود والتوفيق، فكان
مصدقاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أخلص لله عملك، وعلمك، وحبك، وبغضك،
وأخـ_____ذك، وترك_____ك، وكلام_____ك،
وصمتك»^(٣٢).

(٣٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٩٠٠.

شغله القرآن الكريم عن الشعر

كان لبيد العامري^(٣٣) من شعراء العرب المخضرمين الذين قضوا شطراً من حياتهم في الجاهلية وأدركوا الإسلام، وعاش عزيزاً مكرماً في العهدين. ففي السنة الرابعة للهجرة النبوية الشريفة، كان قد جاء مع قومه إلى رسول الله ﷺ وتشرف باعتناق الإسلام.

إن الجانب المهم من حياة لبيد كان في الإسلام، وفي جمادى الآخرة سنة (٥٨هـ) وفد على الرسول ﷺ جماعة من بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأريد أخو لبيد، ولكن الله لم يشرح صدور هؤلاء للإسلام، أما لبيد فأسلم وهاجر وسكن في المدينة، ولكن إسلام لبيد لم يحسن أول الأمر، فقد عدّه مؤرخو الإسلام من المؤلفة قلوبهم.

وكان لبيد يتلو آيات من القرآن الكريم، فأشغلته الحكم والمواعظ والبلاغة في ذلك الكتاب السماوي عن إنشاد الشعر، وصرفته عنه.

وكان للبيد من الأشعار الحكيمة الشيء الكثير، حتى عدّ من أشعر شعراء العرب، وبعض أشعاره كانت معلقة على جدران الكعبة.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد»:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَّا سَوَى اللَّهِ بَاطِلٌ
وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ^(٣٤)

وله يعد سنين عمره:

قَامَتْ تَشَكِّي إِلَى النَّفْسِ مَجْهَشَةً
وَقَدْ حَمَلْتِكِ سَبْعاً بَعْدَ سَبْعِينَا
فَإِنْ تُزَادِي ثَلَاثاً تَبْلُغِي أَمَالاً

(٣٣) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، ولد بين عام (٥٤٠ و٥٤٥ م)، انتقل إلى الكوفة سنة (٥١٤/٦٣٥ م) وفيها توفي سنة (٣٥-٣٨/٦٦٥-٦٦٩ م) في أواخر حكومة عثمان بن عفان، وكان من شعراء الجاهلية الأشراف المجيدين ومن أصحاب المعلقة بإجماع الرواة فقد عدّ في أصحاب المعلقة السبع، وكان لبيد في الجاهلية خبير شاعر لقومه، وشعره فخم شريف المعاني يدور أكثره على الحماسة والفخر والمدح والثناء والوصف، وله معلقة بدوية الخصائص.

(٣٤) راجع بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٩٥.

وَفِي الثَّلَاثِ وَفَاءً لِلثَّمَانِينَ

هذا وقد توفي لبيد في فترة إمارة معاوية على الشام في زمن عثمان عن عمر ناهز (١٥٠)

سنة.

أوتي من الأجر مرتين

يروى عن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع^(٣٥): ألا تسمعنا من هنيهاتك، وكان عامر رجلاً شاعراً فجعل يقول:

لَا هُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِدَاءَ لَكَ مَا اقْتَنَيْنَا وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا
وَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا
وَبِالصَّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فقال له رسول الله ﷺ: «من هذا السائق؟»، قالوا: عامر، قال ﷺ: «يرحمه الله»، قال رجل وهو على جمل: وجبت يا رسول الله لولا أمتعتنا به، وذلك أن رسول الله ﷺ ما استغفر لرجل قط يخصه إلا استشهد، قالوا فلما جد الحرب وتصافى القوم خرج يهودي وهو يقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَيِّ مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مَجْرَبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَبُ

فبرز إليه عامر وهو يقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَيِّ عَامِرُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُعَامِرُ

فاختلفا ضربتين فوق سيف اليهودي في ترس عامر وكان سيف عامر فيه قصر فتناول به ساق اليهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه، قال سلمة: فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: بطل عمل عامر قتل نفسه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي فقلت: قالوا إن عامراً بطل عمله، فقال ﷺ: «من قال ذلك؟» فقلت: نفر من أصحابك، فقال ﷺ: «كذب أولئك بل أوتي من الأجر مرتين»^(٣٦).

هذه قصة شاعر دخل الإيمان قلبه، فلم يعد يرى أن الشعر وحده حياته كلها، بل أراد

(٣٥) وهو من الشعراء العرب المسلمين، عاصر الرسول ﷺ وعرف بإخلاصه وقوة إيمانه.

(٣٦) راجع بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٠٢.

بعد الانطواء تحت جناح الإسلام أن يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فكّرْس حياته الثمينة الغامرة لما هو أثنى وأعلى شأنًا من الشعر، فالشعر . بأي حال من الأحوال . يضمن له فخراً مؤقتاً وسعادة زائلة بزوال الأيام، بينما يضمن له الإيمان خلوداً وسعادة أبدية لا تفتنى ولا تنقضي أيامها، حمل الرمح والسيف ليجاهد بين يدي رسول الله ﷺ وليستشهد ضامناً لنفسه أن يكون من السعداء .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فاز بالسعادة من أخلص العبادة»^(٣٧) .

(٣٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩٠٩ .

اللهم حوالينا لا علينا

روي: أن أعرابياً أقبل إلى رسول الله ﷺ في عام جدد وقحط، فقال: أتيناك يا رسول الله! ولم يبق لنا صبي يرتضع، ولا شارف يجتر، ثم أنشد يقول:

أَتَيْنَاكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
لِتَرْحَمَنَا مِمَّا لَقِينَا مِنَ الْأَزْلِ
أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ تَدْمَى لِبَاهَا
وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الرِّضِيعِ عَنِ الطُّفْلِ
وَأَلْقَى بِكَفَيْهِ الْفَيْتِي اسْتِكَانَةً
مِنَ الْجُوعِ حَتَّى مَا يُمِرُّ وَلَا يُجْلِي
وَلَا شَيْءٍ مِّمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا
سِوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِي وَالْعَلْهَزِ الْفَسْلِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا
وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرَّسْلِ

فقام النبي ﷺ يجرُّ رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «اللهم! اسقنا غيثاً مغنياً مريئاً هنيئاً مريعاً سجالاً غدقاً طبقاً دائماً درراً، تحي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، واجعله سقياً نافعاً عاجلاً غير رايث».

قال الراوي: فو الله، ما رد رسول الله ﷺ يده إلى نحره حتى ألقى السماء أرواقها (أي أمطارها)، وجاء الناس يضحون، الغرق الغرق يا رسول الله!.

فقال ﷺ: «اللهم! حوالينا لا علينا».

فتنحى المطر عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «لله درّ أبي طالب لو كان حياً لقرت عينه، من ينشدنا قوله؟»

فقال أمير المؤمنين ع: «يا رسول الله! لعلك أردت وأبيض يستسقي الغمام بوجهه»،

فقال ﷺ: «أجل».

فأنشده أبياتاً من هذه القصيدة، ورسول الله ﷺ يستغفر لأبي طالب ﷺ على المنبر.
ثم قام رجل من قبيلة كنانة فأنشده أبياتاً:

لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مِمَّنْ شَكَرَ
سُقِينَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ الْمُطَّرِّ
دَعَا اللَّهُ خَالِقَهُ دَعْوَةً
إِلَيْهِ وَأَشْخَصَ مِنْهُ الْبَصَرَ
فَإِنْ كَانَ إِلَّا كَمَا سَاعَةَ
أَوْ اقْصَرَ حَتَّى رَأَيْنَا الدَّرَرَ
دِفَاقُ الْعَزَالِي وَجَمُّ الْبَعَاقِ
أَغَاثُ بِهِ اللَّهُ عَلِيًّا مُضَرَّ
فَكَانَ كَمَا قَالَهُ عُمُّهُ
أُبُو طَالِبٍ دَا زُوَاءٍ غَزْرُ
لَهُ يَسَّرَ اللَّهُ صَوْبَ الْعَمَامِ
فَهَذَا الْعِيَانُ كَذَلِكَ الْخَبْرُ
فَمَنْ يَشْكُرِ اللَّهَ يَلْقَ الْمَزِيدَ
وَمَنْ يَكْفُرِ اللَّهَ يَلْقَ الْغَيْرَ

فقال رسول الله ﷺ رداً عليه: «إن يكن شاعر يحسن فقد أحسنت، بوأك الله يا كناني
بكل بيت قلته بيتاً في الجنة»^(٣٨).

(٣٨) راجع مستدرك الوسائل: ج ٦ ص ١٩٣ ح ٦٧٤٤٤.

اعذرنا يا أبا فراس؟

روي عن معاوية عبد الكريم عن أبيه قال: دخلت على الفرزدق^(٣٩) فتحرك فإذا في رجله قيد، قلت: ما هذا يا أبا فراس؟ قال: حلفت أن لا أخرج من رجلي حتى أحفظ القرآن^(٤٠).

وقال الفرزدق: لقيني الإمام الحسين عليه السلام في منصرفي من الكوفة.

فقال: «ما وراءك يا أبا فراس؟»

قلت: أصدقك؟

قال عليه السلام: «الصدق أريد».

قلت: أما القلوب فمعك، وأما السيوف فمع بني أمية، والنصر من عند الله.

قال عليه السلام: «ما أراك إلا صدقت، الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت به معاشهم، فإذا تحصوا بالبلاء قلّ الديانون»^(٤١).

أما قصة إنشاده القصيدة الغراء المعروفة بين الفريقين في مدح الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام فهي:

إن هشام بن عبد الملك حجّ، وطاف بالبيت، فأراد أن يستلم الحجر، فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر، فجلس عليه ينظر إلى الناس، وأطاف به أهل الشام، فبينما هو كذلك، إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء، وهو من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم رائحة، وبين عينيه سيماء الصالحين من أثر السجود كأنه ركة البعير، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ إلى موضع الحجر، تنحى الناس عنه حتى يستلمه، هيبة له وإجلالاً، فأعاظ ذلك هشاماً وأوغر الموقف صدره.

فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة، وأفرجوا له الطريق عند الحجر؟

(٣٩) هو غالب بن همام، كان أبوه من سراة قومه ومن أجلتهم وسيد بادية تميم وله مناقب مشهورة ومحمد مأثورة، أما جده صعصعة بن ناجية فقد عدّه علماء رجال العامة من الصحابة، وقالوا: كان من أشرف بني تميم ووجه بني مجاشع، توفي الفرزدق سنة (١١٠هـ).

(٤٠) راجع مستدرك الوسائل: ج ١٦ ص ١٥٩ ح ١٩٤٦٥.

(٤١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٨٣.

فقال هشام: لا أعرفه! لئلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق . وكان حاضراً.: لكني
أعرفه.

فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس؟

فقال الفرزدق:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ
وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
هَذَا النَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
هَذَا عَلِيِّ رَسُولِ اللَّهِ وَالِدُهُ
أَمَسَتْ بُيُوتٌ هُدَاهُ تَهْتَدِي الْأُمَمُ
إِذَا رَأَتْهُ فُرَيْشٌ قَالَتْ قَائِلُهَا:
إِلَى مَكَّارِمٍ هَذَا يَنْتَهِي الْكِرْمُ
يَنْمِي إِلَى دُرُورَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ
رُكِنَ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
يُغْضِي حِيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
يَنْشَقُّ نُورَ الْهَدَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ
كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلْمُ
بِكَفِّهِ خَيْرَانُ رِيحُهُ عَبَقُ
مِنْ كَفِّ أَرْوَغٍ فِي عَرِينِهِ شَمُّ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ
طَابَتْ عَنَّا صِرُّهُ وَالْخَيْمُ وَالشَّيْمُ
مَا قَالَ لَا قَطِ إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ
لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَأَوْه نَعَم
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ
بِحَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ حُتِّمُوا

اللَّهُ فَضَّلَهُ قَدَمًا وَشَرَّفَهُ
 جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
 مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
 وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهَا الْأُمَمُ
 عَمَّ الْبِرِّيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
 عَنْهَا الْعَمَائِيَّةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلْمُ
 كَلَّتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
 تَسْتَوَكِفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ
 سَهْلُ الْحَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بِوَادِرُهُ
 تُزِينُهُ خُصَلَتَانِ: الْخَلْقُ وَالْكَرَمُ
 لَا يُجْلِفُ الْوَعْدَ مَيِّمُونَ نَقِيئُهُ
 رَحِبُ الْفَنَاءِ أَرِيْبٌ حِينَ يَعْتَنِزُ
 مِنْ مَعَشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمْ
 كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصَمٌ
 يُسْتَدْفَعُ الشُّوْءُ وَالْبَلَاوَى بِحُبِّهِمْ
 وَيُسْتَرَادُّ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعْمُ
 مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
 فِي كُلِّ بَدِئٍ وَخَتْمٍ بِهِ الْكَلِمُ
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كَانُوا أُمَّتَهُمْ
 أَوْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ قِيلَ: هُمْ
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
 وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

والقصيدة طويلة وما ذكرنا إلا مقتطفات منها، قال الراوي: فغضب هشام وأمر بحبس
 الفرزدق، فسجن بعسفان بين مكة والمدينة، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث إليه
 باثني عشر ألف درهم، وقال عليه السلام: «أعدرنا يا أبا فراس! فلو كان عندنا أكثر من هذا
 لوصلناك به».

فردها وقال: يا بن رسول الله! ما قلت الذي قلت إلا غضباً لله ولرسوله، وما كنت لأطمع عليه شيئاً، فردها وقال عليه السلام: «بحقي عليك لما قبلتها، فلقد رأى الله مكانك وعلم نيتك».

وفي رواية، قال عليه السلام: «شكر الله لك، غير أننا أهل بيت إذا أنفدنا أمراً لم نعد فيه»، فقبلها، فجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في سجنه، وكان فيما هجاه به قوله:

أَتَحْسِبُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالسِّيِّ
إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ تَهْوِي مُنِيهَا
يُقَلِّبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ
وَعَيْناً لَهُ حَوْلَاءُ بَانَ غِيُوبُهَا

ولما حبس هشام بن عبد الملك الفرزدق أمر بمحو اسمه من الديوان وحبس عنه العطاء، وتوعدّه بالقتل، شكا ذلك إلى علي بن الحسين عليه السلام فدعا له، فخلّصه الله ثم جاء إليه، وقال: يا بن رسول الله! إن هشام بن عبد الملك حذف اسمي من الديوان، فقال عليه السلام: «كم كان عطاؤك؟» قال: كذا، فقدم له عطاءً لأربعين سنة، وقال له عليه السلام: «لو علمت أنك تحتاج إلى أكثر من هذا أعطيناك».

فمات الفرزدق بعد أن مضت أربعون سنة، وهذا من جملة كرامات الإمام زين العابدين عليه السلام، كما أن من جملة كراماته إنقاذ الفرزدق من كيد هشام مع كل ما بدر منه إليه من سوء الكلام^(٤٢).

وخلاصة القول وصفوة الكلام أن هذه قصة شاعر مع طاغية من طواغيت بني أمية، وجبار من جبارتها، لا تواجهه الكثرة الكاثرة باعتراض أو تنديد، لأن الاعتراض عليه يكلفها ثمناً فادحاً عصيَّ الدفع، لكن لا بد من قلة طاهرة أبية وسط تلك الكثرة الضالة المغرر بها، وهذه القلة هي التي تمتلك قوة الدحض لحكم الجبارة على صعيد القول والسلوك والثورة، لأن هذه القلة تحصنت بمبادئ الإسلام وقيمه النبيلة الرفيعة، بحيث لم تعد تبالي بسياسات الطاغية وسيفه وسجنه.

إن إيمان الفرزدق الصلب جعله يكون واحداً من هذه القلة، فطرح الرعب خلف ظهره،

(٤٢) راجع وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٢٩٢ ح ٩٠٢.

ولم يخف إلا من الرب جل وعلا، فكان مصداقاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «العبادة الخالصة أن لا يرجو الرجل إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه»^(٤٣).
والفرزدق بما أقدم عليه توخى الرفعة في السلوك، والإخلاص بالعمل، والصدق بالقول، بغض النظر عن ما قد يؤدي هذا الإقدام إليه من سجن وقطع رزق أو حتى قطع عنق.

(٤٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٩ ح ٣٩٤٥.

الشهادة ببركة دعاء الإمام عليّ عليه السلام

قيل: إن الكميت^(٤٤) دخل يوماً على أبي جعفر الباقر عليه السلام، وهو يقول:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ
لَمْ يَيْقُ إِلَّا شَامِتٌ أَوْ حَاسِدٌ

فأنشده الكميت بدهاة فقال:

وَبَقِيَ عَلَى ظَهْرِ الْبَسِيطَةِ وَاحِدٌ
فَهُوَ الْمَرَادُ وَأَنْتَ ذَاكَ الْوَاحِدُ

وروي عنه أنه قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في المنام فقال: «أنشدني قصيدتك العينية»،

فأنشدته حتى انتهيت إلى قولي:

وَيَوْمَ الدَّوْحِ دَوْحِ غَدِيرِ خُيَمٍ
أَبَانَ لَهُ الوَصِيَّةَ لَوْ أُطِيعَا
وَلَكِنَّ الرَّجَالَ تَبَايَعُوهُمَا
فَلَمْ أَرِ مِثْلَهَا أَمْراً شَنِيعاً

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام في طيفه:

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَوْمَماً
وَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ حَقّاً أَضْيَعاً^(٤٥)

(٤٤) أبو المستهل الكميت بن زيد بن حنيس بن مجالد الأسدي الكوفي، كان من أكابر الشعراء، وأماجد البلغاء، معدوداً من سفراء مولانا الباقر عليه السلام وخاصته، مذكوراً بكل خير عند الطائفة، كان ذا ولاء كبير لأهل البيت عليه السلام، ولد في سنة (٦٠) وهي سنة شهادة الإمام السبط الشهيد عليه السلام، وما جمع أحد من العرب من مناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت، فمن صحح الكميت نسبه صح، ومن طعن فيه وهن، وكانت في الكميت عشر خصال لم تكن في شاعر قبله: كان خطيب أسد، وفقه الشيعة، وحافظ القرآن، وثابت الجنان، وكان كاتباً حسن الخط، وكان نساباً وكان جدلاً، وهو أول من ناظر في التشيع، وكان رامياً ماهراً، لم يكن في أسد أرمى منه، وكان فارساً وشجاعاً، وكان سخياً ديناً، استشهد في الكوفة في عهد مروان سنة (١٢٦هـ).

(٤٥) راجع الدرجات الرفيعة: ص ٥٧٩.

وذكر عن عقبة بن بشير الأسدي: أن كميثاً قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال: «والله، يا كميث! لو كان عندنا مال لأعطيناك منه، ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسان: لن يزال معك روح القدس ما ذبيت عنا»^(٤٦).

وعن يونس بن يعقوب قال: أنشد الكميث أبا عبد الله الصادق عليه السلام شعراً فقال:

أَخْلَصَ اللهُ لِي هَوَايَ فَمَا أُغْرِ

قُ نَزْعاً وَلَا تَطْيِشُ سِهَامِي

فردّ عليه الإمام الصادق عليه السلام: «لا تقل هكذا (فما أغرق نزعا)، ولكن قل: فقد أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي»، فقال الكميث: يا مولاي! أنت أشعر مني.

والمعنى: أخلص الله لي هواي أي جعل الله محبتي خالصة لكم فصار تأييده تعالى سبباً لأن لا أخطئ الهدف وأصيب كل ما أريده من مدحكم وإن لم أبالغ فيه، يقال: أغرق النازع في القوس إذا استوفى مدها، ثم استعير لكل من بالغ في شيء، ويقال: طاش السهم عن الهدف أي عدل، وإنما غير عليه السلام شعره لإيهامه بتقصير وعدم اعتناء في مدحهم أو لأن الإغراق في النزاع لا دخل له في إصابة الهدف بل الأمر بالعكس مع أن فيما ذكره معنى لطيفاً كاملاً، وهو أن المداحين إذا بالغوا في مدح ممدوحهم خرجوا عن الحق وكذبوا فيما يثبتون له، كما أن الرامي إذا أغرق نزعاً أخطأ الهدف، وإني كلما بالغت في مدحكم لا يعدل سهمي عن هدف الحق والصدق^(٤٧).

وعن عبد الله بن مروان الحراني قال: كان معنا رجل من عباد الله الصالحين، وكان راوية لشعر الكميث . يعني الهاشميات . بعد سماعها منه، وكان عالماً فتركه خمساً وعشرين سنة لا يستحل روايته وإنشاده، ثم عاد فيه، ف قيل له: ألم تكن زهدت في شعره وبادرت إلى تركه؟

فقال: نعم، ولكني رأيت رؤيا دعنتني إلى العود فيه.

فقيل له: وما رأيت؟

قال: رأيت كأن القيامة قد قامت، وكأنما أنا في المحشر، فدفعت إليّ مجلة.

قلت للشيخ: وما المجلة؟

(٤٦) الكافي: ج ٨ ص ١٠٢ ح ٧٥.

(٤٧) راجع الكافي: ج ٨ ص ٢١٥ ح ٢٦٢.

قال: الصحيفة.

قال: فنشرتها، فإذا فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، أسماء من يدخل الجنة من محبي علي بن أبي طالب عليه السلام).

قال: فنظرت في السطر الأول، فإذا أسماء قوم لم أعرفهم، ونظرت في السطر الثاني، فإذا هو كذلك، ونظرت في السطر الثالث والرابع، فإذا فيه: الكميت بن زيد الأسدي، قال: فذلك الذي دعاني إلى العود لرواية أشعاره^(٤٨).

وقال السيوطي في (شرح الشواهد) عند مروره إلى قوله:

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ
وَلَا لَعِباً مِني وَدُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ
هذا مطلع قصيدة للكميت يمدح بها أهل البيت عليهم السلام ويليهِ:

وَلَمْ تُلْهِني دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنْزِلِ
وَلَمْ يَتَطَرَّنِي بَنَانٌ مُحَضَّبُ
وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَرْجُرُ الطَّيْرَ هُمُهُ
أَصَاحَ غُرَابٌ أَمْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ
وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً
أَمَرَ سَلِيمُ الْقَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ
وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنُّهَى
وَوَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ وَالْخَيْرِ يُطْلَبُ
إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ
إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَنْقَرَبُ
بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ وَأَهْلِهِ
بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَاراً وَأَعْضَبُ

ومنها:

فَمَا لِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْعَةً
وَمَا لِي إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ
بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ

(٤٨) راجع بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ٣٢٥ ح ٢١١.

تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيَّ وَتَحَسَبُ
 وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً
 تَأُولُهَا مِنَّا نَقِيًّا وَمُعْرَبُ
 عَلَيَّ أَيُّ جُحْرٍ أَمْ بِآيَةِ سِيرَةٍ
 أُعْتَبُ فِي تَقْرِيبِهِمْ وَأُكْذَبُ

ومنها:

أَمْ تَرِنِي مِنْ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ
 أَرُوحٌ وَأَعْدُو خَائِفًا أَتَرَقَّبُ
 فَطَائِفَةٌ قَدْ كَفَّرْتَنِي بِحُبِّهِمْ
 وَطَائِفَةٌ قَالَتْ: مُسِيءٌ وَمُذْنِبٌ^(٤٩)

وللكميت قصائد عديدة في مدح أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، والدفاع عن عقيدة التشيع، ومنها قصيدته الميمية، التي مطلعها:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَمِيمٍ مُسْتَهَامٍ
 غَيْرَ مَا صَبَوَّةٍ وَلَا أَحْلَامٍ

يقول صاعد . غلام الكميت .: تشرفنا أنا والكميت بالوصول إلى خدمة أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، فأنشد الكميت هذه القصيدة بحضرة الإمام الباقر عليه السلام، فقال الإمام عليه السلام: «اللهم! اغفر للكميت ثلاث مرات»، ثم قال عليه السلام: «يا كميت! هذه مائة ألف درهم من أهل بيتي جئت بها إليك صلة»، فلم يقبلها الكميت، وقال: والله، ما أردت بها إلا التقرب إلى الله بحبكم، وإن كان كذلك فأنا أطلب قطعة من ثيابكم أتبرك بها، فناوله الإمام عليه السلام طلبه^(٥٠).

روى أبو الفرج الأصبهاني في كتابه (الأغاني) بإسناده إلى إبراهيم بن سعد السعدي، قال: سمعت أبي يقول: رأيت في منامي النبي صلى الله عليه وآله. فقال صلى الله عليه وآله لي: «من أي الناس أنت؟» قلت: يا رسول الله! من العرب.

قال صلى الله عليه وآله: «أعلم أنك من العرب، ولكن من أي العرب؟»

(٤٩) راجع القصيدة كاملة في الدرجات الرفيعة: ص ٥٦٤ وما بعدها.

(٥٠) راجع مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣٢٩.

قلت: من بني أسد.

قال صلى الله عليه وآله: «من قبيلة بني خزيمة»؟

قلت: نعم.

قال صلى الله عليه وآله: «أهلا لي أنت»؟

قلت: نعم.

قال صلى الله عليه وآله: «أتعرف كميثاً»؟

قلت: بلى يا رسول الله! إنه عمي ومن قبيلتي.

فقال صلى الله عليه وآله: «هل تذكر له شعراً»؟

قلت: نعم.

فقال صلى الله عليه وآله: «أنشدني».

فأنشدته: (طربت وما شوقاً) فما بلغت إلى قوله: فما لي إلا آل أحمد شيعة.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «إذا أصبحت فأبلغ سلامي للكميث، وقل له: قد غفر الله لك بهذه القصيدة»^(٥١).

عاش الكميث عيشة مرضية سعيدة في دنياه حتى أتحت له الشهادة ببركة دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام له، بها وبعين الله ما أريق من دمه بالكوفة في عهد مروان الأموي سنة (١٢٦هـ)^(٥٢).

والشيء الملفت للنظر أن رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام السجاد، والإمام الباقر، والإمام الصادق عليهم السلام كانوا يدعون للكميث، لأن شعره لم يكن لنوال الدنيا وزخرفها، فكثيراً ما كان يرفض الصلوات وهدايا الأئمة عليهم السلام، ويكتفي منهم بأشياء بسيطة أو قطع من ثيابهم للتبرك. وهذا دليل عظيم على صدق إخلاص الكميث وولائه المطلق لأهل البيت عليهم السلام دون أي رغبة في متاع الدنيا، عملاً منه بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من أخلص النية تنزهه عن الدنيا»^(٥٣).

(٥١) راجع خلاصة عبقات الأنوار: ج ٩ ص ٢٠١.

(٥٢) راجع أصحاب الإمام الصادق عليه السلام لعبد الحسين الشيبستري: ج ٢ ص ٦١٩.

(٥٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٦.

والله لقد شهدك الملائكة المقربون

كان جعفر بن عثمان الطائي، المكنى بأبي عبد الله من شعراء أهل البيت عليهم السلام من الطراز الأول.

عن زيد الشحام في حديث أن أبا عبد الله عليه السلام قال للطائي: «بلغني أنك تقول الشعر في الحسين وتحميد».

قال: نعم، فأنشده فبكى ومن حوله حتى سالت الدموع على وجهه ولحيته.

ثم قال عليه السلام: «يا جعفر والله لقد شهدك ملائكة الله المقربون هاهنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا وأكثر ولقد أوجب الله لك يا جعفر في ساعتك الجنة بأسرها وغفر لك».

ثم قال عليه السلام: «أ لا أزيدك»؟

قال: نعم يا سيدي.

فقال عليه السلام: «ما من أحد قال في الحسين عليه السلام شعراً، فبكى وأبكى به، إلا أوجب الله له الجنة وغفر له»^(٥٤).

ومن أشعاره:

ألا يَا عَيْنُ فَا بَكِي أَلْفَ عَامٍ
وَزَيْدِي إِنْ قَدَرْتِ عَلَى الْمَزِيدِ
إِذَا ذُكِرَ الْحَسَيْنُ فَلَا تَمَلِّي
وَجُودِي الدَّهْرَ بِالعَبْرَاتِ جُودِي
فقد بكت الحمائم من شجاها
بكت لأليفها الفرد الوحيد
بكين وما درين وأنت تدري
فكيف تهم عينك بالجمود
أ تنسى سبط أحمد حين يمسي

(٥٤) راجع بحار الأنوار: ج٧ ص ٤٧ ص ٣١٤ ح ٦.

ويصبح بين أطباق الصعيد؟

إنه على دين الله

روي أن الإمام الصادق عليه السلام أوصى شيعته مرة فقال: «علموا أولادكم شعر العبدى^(٥٥)، فإنه على دين الله»^(٥٦).

ومن شعره:

أَلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَهْلُ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ
الْمُرْشِدُونَ مِنَ الْعَمَى الْمُنْقِدُونَ مِنَ اللّوَاذِبِ
الصَّادِقُونَ النَّاطِقُونَ السَّابِقُونَ إِلَى الرَّغَائِبِ
فَوَلَاهُمُ فَرَضٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي الْقُرْآنِ وَاجِبٌ
وَهُمُ الصِّرَاطُ فَمُسْتَقِيمٌ فَوْقَهُ نَاجٍ وَنَاكِبٌ^(٥٧)
وله أيضاً:

وَقَالُوا: رَسُولُ اللَّهِ مَا اخْتَارَ بَعْدَهُ
إِمَاماً وَلَكِنَّا لَأَنْفُسِنَا اخْتَرْنَا
أَقَمْنَا إِمَاماً إِنْ أَقَامَ عَلَى الْهَدَى
أَطَعْنَا وَإِنْ ضَلَّ الْهَدَايَةَ قَوْمَنَا
فَقُلْنَا: إِذَنْ أَنْتُمْ إِمَامٌ إِمَامِكُمْ
بِحَمْدٍ مِنَ الرَّحْمَنِ تَهْتُمُ وَلَا تَهْنَا
وَلَكِنَّا اخْتَرْنَا الَّذِي اخْتَارَ رُبَّنَا
لَنَا يَوْمَ خُمٍّ مَا اعْتَدَيْنَا وَلَا حُلْنَا
سَيَجْمَعُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رُبَّنَا
فَتُجْزَوْنَ مَا قُلْتُمْ وَتُجْزَى الَّذِي قُلْنَا

(٥٥) هو أبو محمد سفيان بن مصعب العبدى الكوفي، من أصحاب الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، ومن شعراء أهل البيت عليهم السلام الطاهر، المتزلفين إليهم بالولاء، وقد ضمن شعره غير يسير من مناقب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الشهيرة، ولد سنة (١٠٥هـ) وتوفي سنة (١٧٨هـ).

(٥٦) بحار الأنوار: ج ٧٦ ص ٢٩٣ ح ١٦٠.

(٥٧) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٢٢٥.

هَدَمْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ قَوَاعِدَ دِينِكُمْ
وَدِينٌ عَلَى غَيْرِ الْقَوَاعِدِ لَا يُسْتَأْنَى
وَ نَحْنُ عَلَى نُورٍ مِنْ اللَّهِ وَاضِحٍ
فَيَا رَبِّ زِدْنَا مِنْكَ نُوراً وَتَبَّتْنَا^(٥٨)

ولو لم يكن (العبدى) مخلصاً في كل أقواله وأفعاله لما أوصى الإمام الصادق عليه السلام شيعته بتعلم شعره.

فإن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «من لم يصحب الإخلاص عمله لم يقبل»^(٥٩).
وإذا اطلعنا على شعر هذا الرجل المخلص، أدركنا سرّ وصية الإمام الصادق عليه السلام به،
فإن شعره محبة خالصة وانتماء صادق لأهل البيت عليهم السلام، حتى كأن قضية أهل البيت
عليهم السلام هي قضيته الأولى والأخيرة، فهو ينبري بوزاع ذاتي وقناعة شخصية للذود عنهم، في
سلوكه، وفي لسانه، مثبتاً حقهم المضيّع، آتياً بالحجج البينة والأدلة الساطعة على إمامة أهل
البيت عليهم السلام، لا لأنه يطمح إلى نيل جائزة منهم، وإنما لأنه يرى فيهم أئمة هداة، من
تمسك بجلهم نجا ومن أفلته هلك.

(٥٨) المناظرات في الإمامة للشيخ عبد الله الحسن: ص ٢٧٥.

(٥٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١٦.

أحفظنيها جدي رسول الله ﷺ

قيل: إن والدي السيد الحميري^(٦٠) كانا إباضيين^(٦١) من النواصب المعاندين، لذا أنكر عليهما السيد في بعض أشعاره، بل يستفاد من الأخبار أنهما سعيًا به إلى سلطان وقته أيضاً، فنجي من كيدهما بفضل دعوة مولانا الصادق عليه السلام.

وكان يسأل منه: إنك مع انتسابك إلى حمير، الذين هم من أنصار معاوية، وكونك من أهل الشام، كيف اعتنقت مذهب التشيع؟! فيخبرهم بقوله: صبت علي الرحمة صباً، كما صبت علي مؤمن آل فرعون، وفي هذا يقول:

إني امرؤ حميري حين تنسبني
جدي رعين وأخوالي ذوو يزن
ثم الولاء الذي أرجو التجاة به
يوم القيامة للهادي أبي الحسن

وقيل: بل هذا اللقب من أعلامه الابتدائية، لما نقل عن الصادق عليه السلام أنه لما التقى به أكرمه، وقال: «سمتك أمك سيداً، ووفقت في ذلك، فأنت سيد الشعراء»!.

فقال السيد افتخاراً بهذا الكلام منه عليه السلام:

ولقد عجبْتُ لقائِ لي مرَّةً
علامةً فهمٍ من الفهماءِ
سمَّكَ قومك سيِّداً صدَّقوا به
أنتَ الموقِّفُ سيِّدُ الشعراءِ
ما أنتَ حينَ نخصُّ آلَ مُحَمَّدٍ
بالمَدحِ منك وشاعرٌ بسواهِ

(٦٠) أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة، الملقب بالسيد الحميري، هو من كبار شعراء العرب، وكان متميزاً في نظم الشعر وكتابة الأدب، فلم يعرف غيره في الإحاطة بفنون الأشعار، والمهارة في رواية القصص والأخبار، بحيث نقل أن نصوص شعره المقفى بحرف الميم كانت حمل بعير، وكان إذا سئل عنها المكاري وهو أحد الشعراء المشهورين، يقول: هي (ميميات السيد) على سبيل التعظيم لشأنه، إلى أن جعلت هذه اللفظة علماً له، فلا يشتهر به أنه من قريش أو بني هاشم، فضلاً عن أن الأخص منهما موصوف بالشرف أو السيادة في عرف المتأخرين.

(٦١) الإباضية: بكسر الهمزة هم أصحاب عبد الله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد، وكفروا علماً أمير المؤمنين عليه السلام وأكثر الصحابة، وزعموا أن مخالفهم في زعمهم هذا كافر.

مُدِحَ الْمَلُوكُ ذُوو الْغِنَى لِعَطَائِهِمْ
وَالْمُدْحُ مِنْكَ لَهُمْ لِعَيْرِ عَطَاءِ
فَابْشِرْ! فَإِنَّكَ فَائِزٌ مِنْ حُبِّهِمْ
لَوْ قَدْ وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ بِحِزَاءِ
مَا يَعْدِلُ الدُّنْيَا جَمِيعاً كُلَّهَا
مِنْ حَوْضِ أَحْمَدَ شَرِبَةً مِنْ مَاءِ^(٦٢)

ثم إنه صار إلى مذهب الكيسانية، القائل بإمامة محمد بن الحنفية، إلى أن شاء الرحمن هدايته للإيمان، وفي الحديث عن محمد بن النعمان أنه قال: دخلت عليه في مرضه بالكوفة، فرأيته وقد اسودَّ وجهه وازرورقت عيناه وعطش كبده، فتوجهت إلى الإمام الصادق عليه السلام وهو يومئذ بالكوفة راجعاً من عند الخليفة، فقلت له: جعلت فداك إني فارقت السيد إسماعيل بن محمد الحميري وهو على أسوأ حال.

فأمر بجواده وركب ومضينا معه حتى دخلنا عليه، وكان عنده جماعة من الناس ملتفون حوله ومحدقون به، فجلس الإمام الصادق عليه السلام عند رأسه، فقال: «يا سيد!» ففتح عينيه ينظر إليه وهو لا يطيق الكلام، فحرك الصادق عليه السلام شفتيه، ثم قال له: «يا سيد! قل بالحق، يكشف الله ما بك ويرحمك ويدخلك جنته التي وعد أوليائه»، فقال في ذلك:

بَجَعَفَرْتُ بِاسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ
وَأَيَقُنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ
وَدِنْتُ بِدِينِ غَيْرِ مَا كُنْتُ دَايِئاً
بِهِ، وَنَهَانِي سَيِّدُ النَّاسِ جَعْفَرُ
فَقُلْتُ: فَهَبْنِي! قَدْ تَهَوَّدْتُ بِرَهَّةً
وَالْأَفَادِينِي دِينُ مَنْ يَتَنَصَّرُ
فَلَسْتُ بِعَادٍ مَا حَيَّيْتُ وَرَاجِعٍ
إِلَى مَا عَلَيْهِ كُنْتُ أَخْفِي وَأُضْمِرُ
وَلَا قَائِلاً قَوْلًا لِكَيْسَانَ بَعْدَهَا
وَإِنْ عَابَ جُهَّالٌ مَعَاباً وَأَكْثَرُوا
وَلَكِنَّهُ مِمَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ

(٦٢) راجع الغدير: ج ٢ ص ٢٣١.

عَلَى أَحْسَنِ الْحَالَاتِ يَقْضِي وَيُؤْتِرُ^(٦٣)

وروى صاحب كتاب (بشارة المصطفى لشيعه المرتضى)^(٦٤) عن محمد بن جبلة، قال:
اجتمع عندنا السيد إسماعيل بن محمد الحميري وجعفر بن عفان الطائي، فقال له السيد:
ويحك! كيف تقول في آل محمد ﷺ:

مَا بَالُ يَيْتِكُمْ يُخَرِّبُ سَقْفَهُ

وَيُثَابِكُمْ مِنْ أَرْدَلِ الْأَثْوَابِ!؟

فقال جعفر بن عفان: لا أنكر ذلك، فقال له السيد: إذا لم تحسن المدح فاسكت!
أبوصف آل محمد ﷺ بمثل هذا؟! ولكني أعذرک، هذا طبعك وعلمك وغاية معرفتك!
وقد قلت ما أحق عنهم عار مدحك:

أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآئِسَةِ

وَالْمَرْءُ عَمَّا قَالَ مَسْئُولُ

إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ

عَلَى التُّقَى وَالْبِرِّ مَجْبُوعُ

وَأِنَّهُ ذَاكَ الْإِمَامَ الَّذِي

لَهُ عَلَى الْأُمَّةِ تَفْضِيلُ

يُقْبَلُ بِالْحَقِّ وَيُفْتِي بِهِ

وَلَيْسَ تُلْهِيهِ الْأَبَاطِيلُ

كَأَنَّ إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْهَا الْقَنَا

وَأَحْجَمَتْ عَنْهَا الْبَهَالِيلُ

بِمَشْيِ إِلَى الْقِرْنِ وَفِي كَفِّهِ

أَبْيَضُ مَاضِي الْحَدِّ مَصْفُوعُ

مَشْيِ الْعَفْرَنِيِّ بَيْنَ أَشْبَالِهِ

أَبْرَزُهُ لِلْقَنْصِ الْغِيَالُ

ذَاكَ الَّذِي سَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ

عَلَيْهِ مِيكَالُ وَجَبْرِيلُ

(٦٣) راجع الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص ٢٩٩.

(٦٤) هو عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم علي الطبري، من علماء الإمامية في القرن السادس، وكتابه (بشارة المصطفى لشيعه المرتضى) في فضائل أهل البيت ﷺ يقع في (٤٦٨) صفحة.

مِكَالٌ فِي أَلْفٍ وَجَبْرِيلُ فِي
 أَلْفٍ وَيَتْلُوهُمْ سَرَافِيلُ
 لَيْلَةً بَدْرٍ مَدَدًا أَنْزَلُوا
 كَمَا أَنْتَهُمْ طَبِيرُ أَبَايِلُ
 فَسَلَّمُوا لِمَا أَتُوا حِذْوَهُ
 وَذَاكَ إِعْظَامٌ وَتَبَجِيحُ لُ

هكذا يقال فيهم يا جعفر! ومثل شعرك يقال لأهل الوهن والضعف، فقبل جعفر رأسه وقال: أنت والله الرأس يا أبا هاشم! ونحن الأذنان (٦٥).

أقول: وجعفر المذكور من أكابر شعراء أهل البيت عليهم السلام، وقد نقلت عنه مرث فاحرة فيهم، وطلب الصادق عليه السلام منه إنشادها، ومع هذا كله فانظر ما يقول هو في حق هذا الرجل الجليل.

وفي (محاضرات) الراغب الأصفهاني، قال: قال السيد الحميري: رأيت رسول الله صلوات الله عليه وآله في المنام كأنه في حديقة سبخة، فيها نخل طوال وبجنبها أرض كأنها كافورة ليس فيها أشجار، فقال صلوات الله عليه وآله: «أتدري لمن هذه النخيل؟! فقلت: لا! فقال: «لامرئ القيس، فاقلعها واغرسها في هذه»، ففعلت.

فلما أصبحت أتيت ابن سيرين، فقصصت رؤيائي عليه، فقال: أنتقول الشعر، قلت: لا! فقال: أما إنك ستقول مثل شعر امرئ القيس، إلا أنك تقول في قوم أطهار، فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر. وأفضل أشعاره قصيدته المشهورة في التولي والتبري، ومديح أهل البيت عليهم السلام التي أولها قوله:

لَأَمْ عَمْرٍو بِاللَّوَى مَرَّعٌ
 طَامِسَةٌ أَعْلَامُهُ بَلَقَعُ
 قَائِدُهَا الْعِجْلُ وَفِرْعَوْنُهَا
 وَسَامِرِيُّ الْأَمَّةِ الْمَفْظُ
 وَمَخْدَعُ مَنْ دِينِهِ مَارِقُ
 أَجْدَعُ عَبْدٌ لُكَّعٌ أَوْكَعُ
 وَرَائِيَةٌ قَائِدُهَا وَجْهُهُ

(٦٥) راجع الغدير: ج ٢ ص ٢٦٩.

كَأَنَّهُ الشَّمْسُ إِذَا تَطَلَّعَتْ
وَالنَّاسُ يَوْمَ الْبَعْثِ رَأَيْتُهُمْ
خَمْسٌ فَمِنْهُمْ هَالِكٌ أَرَبَعٌ^(٦٦)

أشار بذلك الشعر إلى الحديث النبوي الشريف، كما ورد في (أخبار الطالبين): لما نزلت:
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(٦٧).

قال النبي ﷺ: «تحشر أمتي على خمس رايات: راية مع عجل هذه الأمة، وراية مع فرعونها، وراية مع سامريها، وراية ذي الثدية، فأسألهم: ما فعلتم بالثقلين؟ فيقولون: الأكبر مزقنا، والأصغر عادينا.

فأقول: ردوا ظامئين مسودة وجوهكم، ثم ترد راية علي إمام المتقين ﷺ، فأسألهم؟ فيقولون: الأكبر اتبعنا، والأصغر وازرنا، حتى أهرقت دماؤنا. فأقول: ردوا رواءً مبيضة وجوهكم»^(٦٨).

وهذه القصيدة إلى تمام نيف وخمسين بيتاً، وحسبها منقبةً، وكفاها مدحاً أنه لم يعهد لشعر من الشعراء المجيدين أو المخلصين نظم شعر يحمل حديثاً شريفاً في ثواب حفظه، والأمر بحفظه، كما عهد السيد الحميري حيث روي عن الرضا ﷺ في حديث طويل أنه قال: «قد أحفظنيها جدي رسول الله ﷺ في المنام من كثرة ما كررها ورددتها علي، بعدما قال لي: يا علي! احفظ هذه القصيدة ومر شيعتك بحفظها، فمن حفظها ضمنت له على الله الجنة»^(٦٩).

وقيل: إن السيد الحميري تعرض لحالة الإغماء عند احتضاره، فاسود وجهه في ذلك الإغماء، ثم أفاق وابيض وجهه بأحسن ما يكون. وقيل: إنهم ذكروا لما اسودَّ وجهه اغتمَّ المؤمنون الحاضرون عنده واشتد حزنهم، وفرح به الشامتون والأعداء، فترأى له - وهو في حالة الاحتضار- أمير المؤمنين ﷺ لأنه يحضر المؤمن والمنافق حين الاحتضار^(٧٠)، فلما نظر إلى

(٦٦) راجع الغدير: ج ٢ ص ٢٢١.

(٦٧) سورة آل عمران: ١٠٦.

(٦٨) راجع الصراط المستقيم: ج ٣ ص ٣٩.

(٦٩) بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ٣٢٩.

(٧٠) راجع بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٩٢ ح ٤٢ وفيه: عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر وعن جعفر ﷺ: «أخما قالاً: «حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى الخمسة، محمداً وعلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً بحيث تفر عينها أو تسخن عينها».

وجه مولاه تضرع إليه، وقال: أ هكذا يفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين؟! كما سمعه الحاضرون،
فتنور وجهه بذلك، وفتح عينيه، وأجرى هذه الأبيات على لسانه:

أحبُّ الذي مَن ماتَ مِن أهلِ ودِّه
تلقَّاهُ بالبُشرى لَدَى الموتِ يضحكُ
وَمَن ماتَ يَهوى غَيْرُهُ مِن عَدُوِّه
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِلَى النَّارِ مَسَلُّكُ
أبا حَسَنِ! تَفْدِيكَ نَفْسِي وَأَسْرِي
وَمَالِي وَمَا أَصَبَحْتُ فِي الأَرْضِ أَمْلِكُ
أبا حَسَنِ! إِنِّي بِفَضْلِكَ عَارِفُ
وإِنِّي بِجِبَلٍ مِن هَوَاكَ لَمُؤْسِكُ
وَأنتَ وَصِيُّ المِصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ
وَإِنَّا نُعَادِي مُبْغِضِيكَ وَنَتْرُكُ
مُؤَالِيكَ نَاجٍ مُؤْمِنٌ بَيْنَ الهُدَى
وَقَالِيكَ مَعْرُوفُ الضَّلالَةِ مُشْرِكُ
وَلاحِ لِحائِي فِي عَليِّ وَحزْبِهِ
فَقَلْتُ: لِحَاكَ اللهُ! إِنَّكَ أَعْفَاكَ! (٧١)

وروي: أنه لما بدت في وجهه نكتة سوداء وزادت حتى أطبقت وجهه، فلم يلبث إلا
قليلاً حتى بدت من ذلك المكان لمعة بيضاء فأشرق وجهه نوراً، فضحك السيد وقال:

كَذِبَ الزَّاعِمُونَ أَنَّ عَلِيًّا
لَا يُنَجِّي مُجِبُّهُ مِن هِنَاتِ
قَدِ وَرَبِّي دَخَلْتُ جَنَّةَ عَدَنِ
وَعَفَا لِي الإِلهُ عَن سَيِّئَاتِي
فَابْشُرُوا اليَوْمَ أَوْلِيَاءَ عَلِيٍّ
وَتَوَلَّوْا عَلِيًّا حَتَّى المَمَاتِ
ثُمَّ مِن بَعْدِهِ تَوَلَّوْا بَيْنِيهِ

(٧١) بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٨١.

وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ بِالصَّفَاتِ^(٧٢)

وفي الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه ذكر عنده السيد الحميري بعد وفاته، فترحم عليه.

ف قيل له: أنه كان يشرب النبيذ!

فقال عليه السلام ثانياً: «رحمه الله»!

ثم قال له رجل: إني رأيته يشرب النبيذ الرستاق!

قال عليه السلام: «تعني الخمر»؟ قلت: نعم،

قال عليه السلام: «رحمه الله، وما ذلك على الله أن يغفر لمحبي علي عليه السلام شرب النبيذ»^(٧٣).

نقول لأنه تاب من ذلك قبل موته.

ويؤيد هذا المقال ما رواه الشيخ في (الأمالي) عن الباقر عليه السلام أنه قال: «ما ثبت الله

حب علي بن أبي طالب في قلب أحد، فزلت له قدم إلا ثبتت له قدم أخرى»^(٧٤)،

وقولهم: «حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغض علي سيئة لا تنفع معها

حسنة»^(٧٥).

والمراد أنه كالبحر فكما لا يتسخ ببعض النفايات كذلك لا تتسخ تلك الحسنة ببعض

السيئات.

إن قصة السيد الحميري تُظهر لنا بشكل جلي مرونة الشاعر لا تعنته، وقناعته لا تزمته،

وتظهر أيضاً تساؤله وبحثه المستمر عن عقيدة يرضاها لنفسه، ولا يلقنها له أبواه تلقينا، فهو

لم يقتنع بالمذهب الإباضي الذي كان والداه قد اعتنقاه، ولو كان شخصاً عادياً لتلقف برضا

تام مذهب أبويه، لكنه أبى ذلك وواجههما حد القطيعة والعداء، ثم جرب الكيسانية، وهي

الأخرى لم يكن فيها ما يسد به فراغ روحه، لذا نبذها سريعاً وبدأ يجرب المزيد والمزيد من

القناعات، حتى ألقى سفينته الدائبة مرساتها عند شاطئ أهل البيت عليهم السلام، الذين هم

الملاذ الأمثل والموئل الطيب والسد المنيع أمام مخاطر التيارات العمياء، فأخلص لهم ونال

(٧٢) راجع الأمالي للطوسي: ص ٦٢٨.

(٧٣) راجع الغدير: ج ٢ ص ٢٢٠.

(٧٤) راجع الأمالي للطوسي: ص ١٣٣.

(٧٥) غوالي اللآلي: ج ٤ ص ٨٦ ح ١٠٣.

بذلك سعادة الدنيا والآخرة، بعد أن امتلأت روحه الدؤوب بأنوار وجوههم النبوية.

أحمل خشبتي على كتفي

كانت لدعبل الخزاعي^(٧٦) مواقف بطولية في مدح ورتاء أهل البيت عليهم السلام وتحديه للسلطة العباسية آنذاك وهو القائل: (لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك)^(٧٧)، عاش دعبل في غليان من الخوف والقلق حتى وافاه الأجل قتيلاً.

وهو شاعر ماهر ومادح لأهل البيت عليهم السلام، صاحب الأشعار الفاخرة الكثيرة، والآثار الباهرة المستنيرة، كان معروفاً بجودة الكلام، مع لطافة الطبع، وظرافة الصنع، وكثرة الملاحظة في أسلوب الفصاحة، والالتفات إلى دقائق أسرار المعاني والبيان.

وفي إحدى السنين وفد دعبل على أبي الحسن الرضا عليه السلام بخراسان، فلما دخل عليه قال: إني قلت قصيدة، وجعلت في نفسي أن لا أنشدها أحداً غيرك، فقال عليه السلام: (هاهما)، فأنشد قصيدته التي يقول فيها:

أ لَمْ تَرَ أَيُّ مُدُّ ثَلَاثِينَ حَجَّةً
أُرُوحٌ وَأَغْدُو دَائِمَ الحَسْرَاتِ
أَرَى فَيَسُّهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا
وَأَيِّدِيَهُمْ مِنْ فَيَسُّهُمْ صَفِرَاتِ

فلما فرغ من إنشاده قام أبو الحسن عليه السلام، ودخل منزله وبعث إليه بخزقة خز فيها ستمائة دينار، وقال للجارية: «قولي له: يقول لك مولاي: استعن بهذه على سفرك واعدزنا».

فقال لها دعبل: لا والله، ما هذا أردت، ولا له خرجت، ولكن قولي له: هب لي ثوباً من ثيابك، فردها عليه أبو الحسن عليه السلام وقال له: «خذها»، وبعث بجلباب من ثيابه، فخرج

(٧٦) هو دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، عربي قحطاني ويكنى (أبا علي)، ولد سنة (١٤٨ هـ) ولم يعرف مكان ولادته بالضبط، وكانت أسرته في الأصل من الكوفة أو من قرقيسيا (بلدة على نهر الخابور في الفرات) والمعروف أنه كوفي وقد قضى سني حياته في الكوفة، تتلمذ وتخرج في الشعر على مسلم بن الوليد الشاعر، وهو الذي شجعه على قول الشعر، غادر الكوفة واستوطن بغداد أيام هارون فكانت دار إقامته وعاصر خمسة حكام عباسيين هم: هارون والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وتوفي سنة (٢٤٦ هـ) وله قبر يزار في مدينة (شوش) بالقرب من قبر نبي الله دانيال عليه السلام، عاش (٩٧) سنة.

(٧٧) راجع الأعلام للزركلي: ص ٣٣٩.

دعبل حتى ورد قم المقدسة، فنظروا إلى الجلباب فأعطوه فيها ألف دينار فأبى البيع، وقال: لا والله، ولا خرقة منها بألف دينار.

ثم خرج من قم المقدسة فاتبعته جماعة من الرجال وتألّبوا عليه وأخذوا الجلباب، فرجع إلى قم وكلمهم فيما سرقوه منه، فقالوا: ليس إليها سبيل، ولكن إن شئت فخذ ألف دينار. فقال: نعم، وخرقة منها، فأعطوه ألف دينار وخرقة منها، وقيل: أنه دُفع إليه في ذلك الجلباب ثلاثون ألف درهم فلم يبيعه، فقطعوا عليه الطريق فأخذوه منه، وقال لهم: إنه يراد لله عزوجل وهو محرم عليكم، فحلف أن لا يبيعه إلا أن يعطوه بعضه، فيكون في كفنه، فأعطوه كُفماً واحداً فكان في أكفانه، وكتب أيضاً قصيدته: مدارس آيات، على ثوب وأحرم فيه، وأمر بأن يكون في كفنه أيضاً^(٧٨).

وقال دعبل الخزاعي: دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام في مثل هذه الأيام. يعني بذلك أيام المحرم. فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب، وأصحابه من حوله كذلك، فلما رأني مقبلاً، قال لي: «مرحباً بك يا دعبل! مرحباً بمادحنا ومحبنا، ومرحباً بناصرنا بيده ولسانه»، ثم إنه وسع لي في مجلسه، وأجلسني إلى جانبه.

ثم قال عليه السلام لي: «يا دعبل! أحب أن تنشدي شعراً، فإن هذه الأيام أيام حزن كانت على أهل البيت، وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية، يا دعبل! من بكى وأبكى على مصابنا ولو واحداً كان أجره على الله تعالى، يا دعبل! من ذرفت عيناه على مصابنا، وبكى لما أصابنا من أعدائنا، حشره الله معنا في زمرتنا، يا دعبل! من بكى على مصاب جدي الحسين عليه السلام غفر الله له ذنوبه البتة». ثم إنه عليه السلام نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستر، ليكوا على مصاب جدهم الحسين عليه السلام، ثم التفت إلي وقال: «يا دعبل! ارث الحسين عليه السلام فأنت ناصرنا ومادحنا، ما دمت حياً فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت»^(٧٩). قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشدت:

سَأْبُكِيهِمْ مَا ذَرَّ فِي الْأَفْقِ شَارِقُ
وَنَادَى مُنَادِي الْخَيْرِ لِلصَّلَوَاتِ
وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَحَانَ غُرُوبُهَا

(٧٨) راجع بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٦٠ ح ١٥٥.

(٧٩) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٨٦ ح ١٢٢٣٦.

وَبِاللَّيْلِ أَبْكِيهِمْ وَبِالْعَدَوَاتِ
 دِيَارُ رَسُولِ اللَّهِ أَصْبَحْنَ بَلَقَعًا
 وَأَلْ زِيَادِ تَسْكُنُ الْحُجُرَاتِ
 وَأَلْ زِيَادِ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةً
 وَأَلْ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْقَلْبَوَاتِ
 فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْ غَدِ
 تَقَطَّعُ نَفْسِي إِثْرَهُمْ حَسَرَاتِ
 خُرُوجِ إِمَامٍ لَا مَحَالَةَ خَارِجِ
 يُثْمَرُ عَلَيَّ اسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ
 يُمَيِّزُ فِينَا كُلَّ حَقِّ وَبَاطِلِ
 وَيَجْزِي عَلَيَّ النِّعَمَاءِ وَالنَّقَمَاتِ
 يَا نَفْسُ! طَيِّبِي، ثُمَّ يَا نَفْسُ فابْشِرِي
 فَعَيْرُ بَعِيدِ كُلِّ مَا هُوَ آتِ
 وَلَا تَجْرَعِي مِنْ مُدَّةِ الْجُورِ إِنِّي
 أَرَى قُضُوتِي قَدْ آذَنْتِ بِبَيِّنَاتِ
 يَا رَبِّ عَجَّلْ مَا أُوَمِّلُ فِيهِمْ
 لِأَشْفِي نَفْسِي مِنْ أَسَىِ الْخَنَاتِ
 فَإِنَّ قَرَّبَ الرَّحْمَنُ مِنْ تِلْكَ مُدَّتِي
 وَأَخَّرَ مِنْ عُمْرِي وَوَقْتِ وَقَاتِي
 شُفِيْتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي عُصَّةً
 وَرَوَيْتُ مِنْهُمْ مَنْصَلِي وَقَنَاتِي^(٨٠)

أقول: إن هذه القصيدة هي التائية المشهورة التي تبلغ مائة وعشرين بيتاً رائقاً، وفيها من مناقب أهل بيت العصمة ومن مصائبهم عليهم السلام الجم الغفير، ومطلعها الذي بدأ بإنشاده للحضرة المقدسة الرضوية، قوله:

تَجَاوَبْنَ بِالْإِرْنَانَ وَالزَّفَرَاتِ
 نَوَائِحُ عَجْمِ اللَّفْظِ وَالنَّطَقَاتِ

(٨٠) راجع القصيدة كاملة في بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٤٥ ح ١٣.

يُجْبِرْنَ بِالْأَنْفَاسِ عَنِ سِرِّ أَنْفُسِ
أَسَارَى هَوَى مَاضٍ وَأَخْرَ آتِ

وعن دعبل قال: جاءني خبر موت الرضا عليه السلام وأنا بقم، فقلت قصيدي الرائية في مرثيته

عليه السلام:

أَرَى أُمِّيَّةَ مَعْدُورِينَ إِنْ قَتَلُوا
وَلَا أَرَى لِيَبْنِي الْعَبَّاسِ مِنْ عُذْرٍ
أَوْلَادُ حَرْبٍ وَمَرَوَانٍ وَأَسْرَتُهُمْ
بُنُو مُعَايِطٍ وَوَلَاةُ الْحَقْدِ وَالْوَعْرِ
قَوْمٌ قَتَلْتُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَوْلَهُمْ
حَتَّى إِذَا اسْتَمَكُّنَا جَازُوا عَلَى الْكُفْرِ
أَرْبَعُ بَطُوسٍ عَلَى قَبْرِ الزَّكِيِّ بِهِ
إِنْ كُنْتَ تَرْبَعُ مِنْ دِينَ عَلِيٍّ وَطَرٍ
قَبْرَانِ فِي طُوسٍ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
وَقَبِيرُ شَرِّهِمْ، هَذَا مِنَ الْعَبْرِ
مَا يَنْفَعُ الرَّجْسَ مِنْ قُرْبِ الزَّكِيِّ وَمَا
عَلَى الزَّكِيِّ بِقُرْبِ الرَّجْسِ مِنْ ضَرَرٍ
هَيْهَاتَ كُلِّ امْرِيٍّ رَهْنٌ بِمَا كَسَبَتْ
لَهُ يَدَاهُ فَخُذْ مَا شِئْتَ أَوْ فَذَرْ ^(٨١)

وروى عن علي بن دعبل بن علي الخزاعي، قال: لما أن حضرت أبي الوفاة تغير لونه، وانعقد لسانه، واسود وجهه، فرأيته بعد ثلاث أيام فيما يرى النائم وعليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء، فقلت له: يا أبة! ما فعل الله بك؟ فقال: يا بني! إن الذي رأيت من اسوداد وجهي، وانعقاد لساني، كان بسبب شربي الخمر في دار الدنيا، ولم أزل كذلك حتى لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه ثياب بيض فقال صلى الله عليه وآله لي: «أنت دعبل»؟ قلت: نعم، يا رسول الله! قال صلى الله عليه وآله: «فأنشدني قولك في أولادي»، فأنشدته قولي:

لَا أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّ الدَّهْرِ إِنْ ضَحِكْتَ
وَأَلْ أَحْمَدَ مَظْلُومُونَ قَدْ فَهَرُوا

(٨١) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٨١.

مُشَرَّدُونَ نُفُوعًا عَنْ عَقْرِ دَارِهِمْ
كَأَنَّهُمْ قَدْ جَنَوْا مَا لَيْسَ يُغْتَفَرُ

فقال لي رسول الله ﷺ: «أحسنت»، وشفع لي، وألبسني ثيابه وهاهي، وأشار إلى ما كان يرتدي^(٨٢).

فهنيئاً له حسن عاقبته، فإنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الإحلاص أشرف نهاية»^(٨٣).

(٨٢) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٩٨.

(٨٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٤.

قبلت هديتك

حكى أنّ المنصور الدوانيقي^(٨٤) تقدّم إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز وقبض ما يحمل إليه، فقال عليه السلام: إنّي قد فتشت الأخبار عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم أجد لهذا العيد خبراً وإنّه سنّة للفرس محابها الإسلام ومعاذ الله أن نحبي ما محابها الإسلام، فقال المنصور: إنّما نفعل هذا سياسة للجند فسألتك بالله العظيم إلاّ جلست، فجلس ودخلت عليه الملوك والأمراء والأجناد يهنّونونه ويحملون إليه الهدايا والتّحف، وعلى رأسه خادم المنصور يحصي ما يحمل، فدخل في آخر الناس رجل شيخ كبير السنّ فقال: له يا ابن بنت رسول الله إنّي رجل صعلوك لا مال لي أتخفك ولكن أتخفك بثلاث أبيات قالها جدّي في جدك الحسين بن عليّ عليه السلام:

عَجِباً لِمَصْقُولِ عَلاكَ فِرْزُدُهُ
يَوْمَ الهَيْبِاجِ وَقَدِ عَلاكَ غُبَارُ
وَأَسْهُمِ نَفَقَدْتِكَ دُونَ حَرَائِرِ
يَدْعُونَ جَدَّكَ وَالِدُومُوعِ غِرَارُ
إِلَّا تَقْضُضَ السَّهَامُ وَعَاقَهَا
عَن جَسْمِكَ الإِجْلَالُ وَالِإِكْبَارُ

قال عليه السلام: «قبلت هديتك اجلس بارك الله فيك»، ورفع عليه السلام رأسه إلى الخادم وقال: «امض إلى الأمير وعزّفه بهذا المال وما يصنع به»، فمضى الخادم وعاد وهو يقول: يقول الأمير: كلّها هبة منّي له يفعل به ما أراد، فقال الإمام عليه السلام للشيخ: «اقبض جميع هذا المال فهو هبة منّي لك»^(٨٥).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أخلص العمل لم يعدم الأموال»^(٨٦)، وإن حكاية هذا

(٨٤) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ثاني حكام بني العباس بعد أخيه أبي العباس السفاح، وقد مكث في الحكم اثنين وعشرين سنة (من سنة ١٣٦هـ وحتى سنة ١٥٨هـ)، معاصراً في هذه المدة للإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي قتل مسموماً في المدينة المنورة سنة (١٤٨هـ)، ثم للإمام موسى الكاظم عليه السلام، وفي عهده تم إنشاء مدينة بغداد، أما لقبه (الدوانيقي) فقد جاءه من شدة بخله، حيث قيل إنه كان يحاسب العمال والصنّاع على الحبات والدوانيقي، والدانق عملة نقدية صغيرة كانت رائجة في ذلك الزمان.

(٨٥) راجع بحار الأنوار: ج ٤٨ ص ١٠٨.

(٨٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٢٠.

الرجل المسن تعكس بحق هذه المقولة. فإن هذا الرجل اعترف دون حرج أو تلثم أنه لا يملك مالاً، ولكنه يمتلك ثلاثة أبيات قالها أبوه في السبط الشهيد عليه السلام، فأهداها إلى الإمام ولم يفكر بجهة أو صلة أو مال سيعطيه إياه الإمام، وإنما دفعه الوفاء والإخلاص المحض، واستحق بذلك رضا الله تعالى أولاً، ورضا الإمام، وهكذا فإن كل من أخلص فإنه لا يعدم المكافأة الجزيلة.

يا غلام سق إليه البغلة

عن أبي عثمان الجاحظ أنه قال: ما رأيت قط أوسع علماً من أبي نواس^(٨٧) ولا أحفظ منه مع قلة كتبه، ولقد فتننا منزله بعد موته، فما وجدنا فيه إلا جزءاً مشتتاً على الغرائب ونحو ذلك ليس إلا^(٨٨).

ويروى أن الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأله عن نسبه؟، فقال له: أغناني أدبي عن نسبي.

روى صاحب كتاب (بشارة المصطفى لشيعه المرتضى)، عن ياسر الخادم، قال: لما جعل المأمون علي بن موسى الرضا عليه السلام ولي عهده، وسكّت الدنانير والدراهم باسمه، وخطب على المنابر، قصده الشعراء من جميع الآفاق، فكان أبو نواس الحسن بن هاني من جملتهم، فمدحه كل شاعر بما عنده إلا أبو نواس، فإنه لم يقل فيه شيئاً ولم يقدم أشعاره، فعاتبه المأمون وقال له: يا أبا نواس! أنت مع تشيعك وميلك إلى أهل هذا البيت، تركت مدح علي بن موسى الرضا عليه السلام، مع اجتماع خصال الخير فيه، فأنشأ يقول:

قِيلَ لِي: أَنْتَ أَشْعَرُ النَّاسِ طُرّاً
إِذْ تَقَوَّهْتَ بِإِلْكَامِ الْبَدِيهِ
لَكَ مِنْ جَيِّدِ الْقَرِيضِ مَدِيحٌ
يُنْمِرُ الْوَدْرَ فِي يَدَيِ جُحْتِنِيهِ
فَعَلَى مَا تَرَكْتَ مَدْحَ ابْنِ مُوسَى
وَالْخِصَالِ الَّتِي تَجَمَّعْنَ فِيهِ
قُلْتُ: لَا أَسْتَطِيعُ مَدْحَ إِمَامٍ
كَانَ جَبْرِيْلُ خَادِمًا لِأَيِّهِ

(٨٧) أبو نواس الحسن بن هاني بن عبد الأول، ولد في الأهواز في الجنوب الغربي من بلاد فارس سنة (١٤٥هـ = ٧٥٧م)، كان قليل الاهتمام بالشعبوية التي كانت ثائرة في أيامه، ولم يكن متعصباً للعرب على الفرس ولا لغير العرب على العرب، وهو شاعر الخمر، كان نديماً لمحمد الأمين بن هارون العباسي من زوجته زبيدة، قيل: هو في الطبقة الأولى من المولدين، وكان للمحدثين مثل امرئ القيس للشعراء السابقين، توفي سنة (١٩٩هـ / ٨١٣م)، ودفن في مقابر الشونيزي، راجع الذريعة: ج ٩ ص ٥١.

(٨٨) راجع الأعلام للزركلي: ج ٢ ص ٢٢٥.

قَصُرَتْ أَلْسُنُ الْفَصَاحَةِ عَنْهُ
وَلِهَذَا الْقَرِيضُ لَا يَحْتَوِيهِ
قال: فدعا بحقة لؤلؤ فملاً فاه لؤلؤاً^(٨٩).

ونقل الشيخ الصدوق رحمته الله بإسناده المعتبر عن محمد بن يحيى الفارسي أنه قال: نظر أبو نواس إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام ذات يوم، وقد خرج من عند المأمون على بغلة له، فدنا منه أبو نواس في الدهليز، فسلم عليه، وقال: يا بن رسول الله! قد قلت فيكم أبياتاً وأود أن تسمعها، قال عليه السلام: هات، فأنشأ يقول:

مُطَهَّرُونَ نَقِيَّاتٍ ثِيَابُهُمْ
بَجَرِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا ذُكِرُوا
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيًّا حِينَ تَنْسُبُهُ
فَمَالَهُ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ مُفْتَخِرُ
وَاللَّهِ لَمَا بَرَأَ خَلْقًا فَأَتَقَنَهُ
صَفَّاكُمُ وَاصْطَفَاكُمُ أَيُّهَا الْبَشَرُ
فَأَنْتُمْ الْمَالُ الْأَعْلَى وَعِنْدَكُمْ
عِلْمُ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّورُ

فقال الرضا عليه السلام: «يا حسن بن هاني! قد جئتنا بأبيات ما سبقك أحد إليها، فأحسن الله جزاك»، ثم قال عليه السلام: «يا غلام! هل معك من نفقتنا شيء؟» فقال: ثلاثمائة دينار، فقال عليه السلام: «أعطاها إياه»، ثم قال: «لعله استقلها يا غلام! سق إليه البغلة»^(٩٠).

ونقل المجلسي رحمته الله في البحار أيضاً بالإسناد المتصل عن أبي العباس المبرد، قال: خرج أبو نواس ذات يوم من داره، فبصر براكب قد حاذاه فسأل عنه ولم ير وجهه، فقيل: إنه علي بن موسى الرضا عليه السلام، فأنشأ يقول:

إِذَا أَبْصَرْتَكَ الْعَيْنُ مِنْ بَعْدِ غَايَةٍ
وَعَارِضَ فِيكَ الشَّكُّ أَثْبَتَكَ الْقَلْبُ
وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا أُمَّوَكُ لَقَادَهُمْ

(٨٩) راجع بشارة المصطفى: ص ١٣٣.

(٩٠) راجع بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٣٦ ح ٥٠.

نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرَّكْبُ^(٩١)

وفي كل ما ذكر من الروايات أيضاً من الدلالة على حسن حال الرجل، وخيرية مآله، وإمامية مذهبه، ما لا يمكن إخفاؤه.

وظاهراً أن أصحاب المعرفة والعقل والعلم لا يموتون إلا وهم راجعون إلى هذا الأمر.

(٩١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٣٦ ح ٤٤.

دراهم الإمام الرضا عليه السلام

روي أن هارون المهلي قال: لما بايع الناس الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد في دولة المأمون العباسي، جاء إبراهيم الصولي^(٩٢) ودعبل بن علي الخزاعي، فأنشدا أشعارهما بحضرة الإمام الرضا عليه السلام، فأنشد دعبل ضمن قصيدة طويلة:

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةِ
وَمَنْزِلٌ وَحْيٍ مُقْفَرٍ الْعَرَصَاتِ

فيما أنشد إبراهيم بن عباس الصولي:

أَزَالَ عَنَاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ

مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

فأعطاهما الإمام الرضا عليه السلام عشرين ألف درهم من الدراهم التي أمر المأمون أن يضرب اسم الإمام الرضا عليه السلام عليها.

قال الراوي: أما دعبل الخزاعي فقد أخذ سهمه من الدراهم وهو عشرة آلاف وقرر السفر إلى قم المقدسة، وفي قم بادل كل درهم بعشرة دراهم، فأصبح مجموع ما عنده مائة ألف درهم.

وأما إبراهيم بن عباس فقد احتفظ بالمبلغ إلا بعضاً منه أهداه لبعض معارفه، أو أعطاه لبعض أفراد عائلته، إلى أن حانت وفاته فكانت مصارف كفنه ودفنه من تلك الدراهم^(٩٣).

(٩٢) إبراهيم بن العباس الصولي بن محمد بن صول الكاتب مولى يزيد بن المهلب، ولد سنة (١٧٦ أو ١٦٧هـ) ومات للنصف من شعبان سنة (٢٤٣هـ) بسامراء، وأصله من خراسان وهو رجل تركي، وقيل إنه منسوب إلى (صول) بعض ضياع جرجان. وفي أنساب السمعاني: ج ٣ ص ٥٦٧ هذه النسبة إلى (صول) وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه، و(صول) مدينة بباب الأبواب، قال بعض القدماء:

فِي كَيْلِ صَوْلٍ تَنَاهَى الْعَرْضُ وَالطُّوْلُ

كَأَنَّهَا صُوبَتْهُ بِالْحَشْرِ مَوْضِعًا

كان كاتباً حاذقاً، بليغاً، فصيحاً، منشعاً، نقل عنه أنه كان من أبلغ الناس في الكتابة ثم صار كلامه مثلاً، ونقل أنه أحد البلغاء والشعراء الفصحاء وعدوه من شعراء الشيعة ومادحي أهل البيت عليهم السلام.

(٩٣) راجع عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥٤.

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: طوبى لمن أخلص
لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن
صدره بما أعطي غيره»^(٩٤).

(٩٤) الكافي: ج ٢ ص ١٦ ح ٣.

أما سمعت أبيات ابن صيفي

حكى عن الشيخ نصر الله بن مجلي وكان من ثقات أبناء العامة كما قالوا عنه، أنه قال: رأيت في المنام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت له: يا أمير المؤمنين! تفتحون مكة، فتقولون: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، ثم يجري على ولدك الحسين عليه السلام يوم الطف ما جرى؟.

فقال عليه السلام لي: «أما سمعت أبيات ابن صيفي^(٩٥) في هذا؟» فقلت: لا، فقال عليه السلام: «اسمها منه».

ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص، فخرج إليّ، فذكرت له الرؤيا، فاختنق بعبرته وأجهش بالبكاء، وحلف بالله إن كانت قد خرجت من فمي أو خطي إلى أحد، ولم أنظمها إلا في هذه الليلة، ثم أنشدني:

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً
فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَأَلَ بِالدَّمِ أَبْطُحُ
وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الْأَسَارَى وَطَالَ مَا
عَدَوْنَا عَلَى الْأَسْرَى نَعْفُ وَنَصْفُحُ
فَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوُثُ بَيْنَنَا
وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ^(٩٦)

وفي هذا نرى كيف استنار قلب حيص بيص فنظم هذه الأبيات التي تزيل شبهة مهمة، لأنه كان مخلصاً في دينه وفي محبته للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام، يقول أمير

(٩٥) أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفي التميمي، المعروف بـ(حيص بيص)، شاعر متفرد مشهور، أبدع في نظم الشعر مع جزالة لفظه، وله رسائل فصيحة بليغة، وأخذ الناس عنه أدباً وفضلاً كثيراً، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب، واختلاف لهجاتهم، وكان لا يخاطب أحداً إلا بالكلام العربي، وكان يلبس زي العرب، ويتقلد سيفاً، وإنما قيل له: (حيص بيص)، لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد، فقال: ما للناس في حيص بيص، فبقي عليه هذا اللقب ملازماً، ومعنى هاتين الكلمتين: الشدة والاختلاط، تقول العرب: وقع الناس في حيص بيص أي في شدة واختلاط، وكانت وفاته ليلة الأربعاء الموافق للسادس من شعبان سنة (٥٧٤ هـ) ببغداد، ودفن في اليوم التالي بالجانب الغربي في مقابر قریش، وكان إذا سُئل عن عمره؟ يقول: أنا أعيش في الدنيا مجازفة، لأنه كان لا يحفظ تاريخ مولده، وكان يزعم أنه من ولد أكتم بن صيفي التميمي حكيم العرب.

(٩٦) راجع الذريعة: ج ٢٤ ص ١١٩.

المؤمنين عليهم السلام: «عند تحقق الإخلاص تستنير القلوب»^(٩٧).

ولحيص بيص في مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

قَوْمٌ إِذَا أَخَذَ الْمَدِيحُ قَصَائِدًا
أَخَذُوهُ عَن طَهٍ وَعَن يَاسِينَ
وَإِذَا انْطَوَى أَرْقُ الْأَضَالِغِ وَقَرُّوا
مَيْسُورَ زَادَهُمْ عَلَى الْمَسْكِينِ
وَإِذَا عَصَى أَمْرَ الْمَوَالِي خَادِمٌ
تَقَدَّتْ أَوَامِرُهُمْ عَلَى جَبْرِينِ
وَإِذَا تَفَاخَرَتِ الرَّجَالُ بِسَيِّدٍ
فَخَرُّوا بِأَنْزَعٍ فِي الْعُلُومِ بَطِينِ
مُلَقَى عَمُودِ الشُّرْكِ بَعْدَ قِيَامِهِ
وَمُؤْمِنُ دِينِ اللَّهِ بَعْدَ كُفُونِ
وَالْمُسْتَعَاثُ إِذَا تَصَافَحَتِ الْقَنَا
وَعَدَّتْ صُفُونَ الْحَيْلِ غَيْرِ صُفُونَ
مَا أَشْكَلَتْ يَوْمَ الْجِدَالِ قَضِيَّةٌ
إِلَّا وَبَدَّلَ شَكَّهَا بَيْتَيْنِ
مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ الْخَفِيِّ وَمَوْضِعُ الـ
خَلْقِ الْجَلِيِّ وَفَتْحَةُ الْمَفْتُونِ^(٩٨)

ومن قصة حيص بيص نتلمس الفرق بين عقيدتين وسلوكين، سلوك القائد الذي يحمل المثل الإلهية العليا بين جنبيه، وسلوك السلطان الجائر الذي أعمته أبهة السلطان فلم ينظر إلى أبعد من أنفه، فالمؤمن الأخروي يصفح عن ألد أعدائه وهو متمكن منهم، ويحقن دماءهم، بل ولا يخوفهم ولا يرعبهم، بينما الأعداء إذا تمكنوا لم يرحموا شيخا ولا امرأة ولا طفلاً، فزاهم يستبيحون الحرمات ويسفكون الدماء.

وليس غريباً أو عجيباً بعد هذا أن يقابل الأمويون عفو رسول الله صلوات الله عليه وآله وصفحهم عنهم يوم فتح مكة، بقتل أبنائه وسبي نسائه يوم الطف.

(٩٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٤.

(٩٨) راجع مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٦٢.

من لا يحبه فليس بمؤمن

ينقل صاحب كتاب (الأنوار المضيئة)^(٩٩) وغيره: أنه كان في زمان الشاعر الموالي (ابن الحجاج أبي عبد الله البغدادي)^(١٠٠) رجلان صالحان لكنهما يزدريان بشعره ويهجوانه كثيراً، وهما: محمد بن قارون السبيي، وعلي بن الزرور السورائي، فرأى الأخير منهما رؤية في المنام، كأنه أتى إلى روضة الإمام الحسين عليه السلام وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام حاضرة هناك، مسندة ظهرها على ركن الباب الكائن على جهة اليسار بالنسبة للداخلين، وباقي الأئمة حتى مولانا الصادق عليهما السلام جلوس أيضاً في مقابلهما في الزاوية التي بني فيها ضرباً الحسين وولده علي الأكبر الشهيد عليهما السلام متحدثين بما لا يفهم.

ومحمد بن قارون المقدم قائم بين أيديهم، قال السورائي: وكنت أنا أيضاً غير بعيد عنهم، فرأيت ابن الحجاج ماراً في الحضرة المقدسة، فقلت لمحمد بن قارون: ألا تنظر إلى الرجل كيف يمر في الحضرة؟

فقال: وأنا لا أحبه حتى أنظر إليه.

قال: سمعت الزهراء عليها السلام بذلك، فقالت له مثل المغضبة: «أما تحب أبا عبد الله؟ أحبوه فإنه من لا يحبه ليس من شيعتنا»، ثم ارتفع الحديث من بين الأئمة عليهم السلام: «بأن من لا يحب أبا عبد الله فليس بمؤمن»^(١٠١). وكان ذلك لإخلاصه لأهل البيت عليهم السلام. وهذا مصداق لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «بالإخلاص يتفاضل العمال»^(١٠٢).

(٩٩) هو السيد الجليل زين الدين علي بن عبد الحميد النيلي النحفي الحسيني، أستاذ العلامة ابن فهد الحلبي المتوفى سنة (٥٨٤٤هـ).
(١٠٠) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج النيلي البغدادي، الكاتب الفاضل الأديب الشاعر، من شعراء أهل البيت عليهم السلام، كان معاصراً للسيد المرتضى والرضي (رحمهما الله تعالى)، وقد توفي سنة (٥٣٩١هـ)، وله ديوان شعر كبير وجمع الشريف الرضي المختار من شعره سماه (الحسن من شعر الحسين) ومن شعره القصيدة الفائية المعروفة:

يَا صَاحِبَ الثُّبَّةِ الْبَيْضَاءِ فِي النَّجْفِ

مَنْ رَأَى قَبْرَكَ وَاسْتَشْفَى لَدَيْكَ شَفِي

كان من شعراء أهل البيت المتجاهرين بجهنم وبغض أعدائهم، وله ديوان كبير جداً في عدة مجلدات، ومن جملة حكاياته الغريبة الدالة على جلالته قدره، وعظم منزلته عند أهل بيت العصمة عليهم السلام.

(١٠١) الأنوار المضيئة: ج ٣ ص ١٦٠.

وقد روي: أن السلطان مسعود بن بويه الديلمي^(١٠٣) لما بنى سور مشهد النجف الأشرف، وفرغ من تعمير القبة الزاكية وتم الطلاء بالإسمنت خارجها وداخلها، دخل الحضرة الشريفة وقبّل القبة المباركة، وجلس على أحسن الأدب، فوقف أبو عبد الله المذكور بين يديه، وأنشد قصيدته التي كان مطلعها:

يا صاحب القبة البيضاء في النجف

على باب الحضرة.

فلما وصل إلى بعض المقاطع أغلظ له السيد المرتضى علم الهدى، ونهاه من إنشاد ذلك في حضرة الإمام عليه السلام، فانقطع عن الإيراد، فلما جن عليه الليل رأى الإمام عليه السلام في المنام، وهو يقول: «لا ينكسر خاطرك، فقد بعثنا المرتضى علم الهدى، يعتذر إليك ولا تخرج إليه، فقد أمرناه أن يأتي دارك فيدخل عليك».

ثم رأى السيد المرتضى في تلك الليلة أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الكرام عليهم السلام جالسين حوله، فوقف بين أيديهم فسلم عليهم فلم يقبلوا عليه، فعظم ذلك عنده، فقال: يا مولاي! أنا عبدكم وولدكم ومولاكم، فما استحققت هذا منكم؟ فقالوا عليهم السلام: «بما كسرت خاطر شاعرنا أبي عبد الله بن الحجاج! فتمضي إلى منزله وتعتذر إليه، وتمضي به إلى ابن بويه وتعرفه عنايتنا به».

فنهض السيد المرتضى رحمته الله من ساعته ومضى إليه، ففرع عليه باب حجرته، فقال أبو عبد الله: يا سيدي! الذي بعثك إليّ أمرني أن لا أخرج إليك، وقال: كذا، فقال: نعم، سمعاً وطاعة لهم، ودخل عليه معتذراً، ومضى به إلى السلطان وقص القصة عليه كما رأياه، فأكرمه وأنعم عليه، وأمره بإنشاد القصيدة في تلك الحال، فقال:

يا صاحب القبة البيضاء في النجف

من زار قبرك واستشفى لديدك شفي

زوروا أبا الحسن الهادي لعلكم

تخطون بالأجر والإقبال والرلف

زوروا لمن نسمع النجوى لديه فمن

(١٠٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٢.

(١٠٣) هو السلطان مسعود بن بويه الديلمي الذي بنى سور مشهد النجف الأشرف، وفرغ من تعمير القبة الزاكية وجصص خارجها وداخلها.

يَزُرُّهُ بِالْقَبْرِ مَلْهُوفاً لَدَيْهِ كُفِّي
إِذَا وَصَلْتَ فَأَحْرِمِ قَبْلَ تَدْخُلِهِ
مُلِيَّياً وَاسِعاً سَعياً حَوْلَهُ وَطُفِ
حَتَّى إِذَا طُفَّتْ سَبْعاً حَوْلَ قُبَّتِهِ
تَأْمَلِ الْبَابَ تَلْقَى وَجْهَهُ فَحِفِ
وَقُلْ: سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ السَّلَامِ عَلَى
أَهْلِ السَّلَامِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالشَّرَفِ
إِنِّي أَتَيْتُكَ يَا مَوْلَايَ! مِنْ بَلَدِي
مُسْتَمْسِكاً مِنْ جِبَالِ الْحَقِّ بِالطَّرْفِ
لَأَنَّكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى فَمَنْ عَلَقَتْ
بِهَا يَدَاهُ فَلَنْ يَشْقَى وَلَمْ يَخَفِ
وَإِنَّ أَسْمَاءَكَ الْحَسَنَى إِذَا تُلِيَّتْ
عَلَى مَرِيضٍ شُفِي مِنْ سُقْمِهِ الدَّنْفِ
لَأَنَّ شَأْنَكَ شَأْنٌ غَيْرٌ مُنْتَقَصٍ
وَأَنَّ نُورَكَ نُورٌ غَيْرٌ مُنْكَسِفِ
وَأَنَّكَ الْآيَةُ الْكُبْرَى الَّتِي ظَهَرَتْ
لِلْعَارِفِينَ بِأَنْوَاعِ مِنَ الطُّرْفِ
هَذِي مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ دَائِمَةً
يَهْبِطْنَ نَحْوَكَ بِالْأَلطَافِ وَالتُّخَفِ
كَالسَّطَلِ وَالْجَامِ وَالْمَنْدِيلِ جَاءَ بِهِ
جَبْرِيلُ لَا أَحَدٌ فِيهِ بِمُخْتَلِفِ
كَانَ النَّبِيُّ إِذَا اسْتَكْفَاكَ مُعْضِلَةً
مِنَ الْأُمُورِ وَقَدْ أَعَيْتَ لَدَيْهِ كُفِّي
وَقَصَّه الطَّائِرُ الْمَشْوِيُّ عَنِ أَنَسِ
تُنَجِّي بِمَا نَصَّه الْمُخْتَارُ مِنْ شَرَفِ
وَالْحُبِّ وَالْقَضْبِ وَالزَّيْتُونِ حِينَ أَتَوْا
تَكْرُمًا مِنْ إِلِهِ الْعَرْشِ ذِي اللَّطْفِ
وَالخَيْلِ رَاكِعَةً فِي النَّقْعِ سَاجِدَةً
وَالْمَشْرِفِيَّاتِ قَدْ ضَجَّتْ عَلَى الْجَحْفِ

بَعَثَتْ أَغْصَانَ بَانَ فِي جُمُوعِهِمْ
فَأَصْبَحُوا كَرَمَادٍ غَيْرِ مُنْتَسِفٍ
لَوْ شِئْتَ مَسَخَهُمْ فِي دُورِهِمْ مُسِخُوا
أَوْ شِئْتَ قُلْتَ لَهُمْ: يَا أَرْضُ انْخَسِفِي
وَالْمَوْتُ طَوْعُكَ وَالْأَرْوَاحُ تَمْلِكُهَا
وَقَدْ حَكَمْتَ فَلَمْ تَظْلِمِ وَلَمْ تَجْفِ (١٠٤)

وافاه الأجل في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادي الآخرة، سنة (٣٩١هـ) في مصر، وحمل إلى بغداد، ودفن عند مرقد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. وأوصى بأن يكتب على لوح قبره ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ (١٠٥). وهذا كله يدل على شدة إخلاصه.

(١٠٤) راجع الغدير: ج ٤ ص ٨٨ وما بعدها.

(١٠٥) سورة الكهف: ١٨.

مبعوث فاطمة الزهراء عليها السلام

ناظر الشاعر الناشئ الصغير^(١٠٦) يوماً علي بن عيسى الرماني^(١٠٧) في مسألة، فانقطع الرماني، فقال: أعاود النظر، وربما كان في أصحابي من هو أعلم مني بهذه المسألة، فإن ثبت الحق معك وافقتك عليه.

وناظر أيضاً رجلاً أشعرياً فصنعه، فقال: ما هذا يا أبا الحسين؟ فقال: هذا ما فعله الله بك فلم تغضب مني؟، فقال: ما فعله غيرك وهذا دليل سوء الأدب وخارج عن المناظرة، فقال: ناقضتني ونفرت مني إذ أقمت على مذهبك فهو من فعل الله، وإن انتقلت عن مذهبك فخذ مني الاعتذار والعوض، فانقطع المجلس بالضحك وصارت نادرة.

وقال الناشئ: كنت بالكوفة سنة (٣٢٥هـ) وأنا أقرأ شعري في المسجد الجامع، والناس يكتبونه عني، وكان المتنبي^(١٠٨) إذ ذاك يحضر معهم، وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي، فأملت القصيدة التي أولها:

بِأَلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ
وَفِي أَبِيائِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ

وقلت منها:

كَأَنَّ سِنَانَ دَائِلِهِ ضَمِيرٌ
فَلَيْسَ عَنِ الثُّلُوبِ لَهُ ذَهَابُ
وَصَارُمُهُ كَبَيْعَتِهِ بِحُجْمٍ
مَقَاصِدُهَا مِنَ الْخَلْقِ الرَّقَابُ^(١٠٩)

(١٠٦) علي بن عبد الله بن وصيف أبو الحسين الحلاء، المعروف بالناشئ الصغير، ولد سنة (٢٧١هـ)، وكان من متكلمي الشيعة الإمامية الفضلاء، وله شعر مدون، توفي سنة (٣٦٦هـ).

(١٠٧) ولد سنة (٢٩٦هـ) وتوفي سنة (٣٨٤هـ).

(١٠٨) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بأبي الطيب المتنبي، ولد بالكوفة سنة (٣٠٣هـ)، لازم فترة طويلة الأمير سيف الدولة الحمداني، ثم انتقل إلى مصر ومدح فيها كافور الإخشيدي، ثم خرج إلى العراق والري وخراسان، مادحاً الأمراء والملوك بشعر قلَّ نظيره، قتل سنة (٣٥٤هـ) بضربة قرب النعمانية في واسط ودفن هناك، قال وقد عيب على ترك مدح أمير المؤمنين عليه السلام لفترة طويلة:

وتركت مدحاً للوصي تعمداً

فلمحته يكتب هذين البيتين مني، ومنهما اقتبس ما أنشدتموني الآن له من قوله:

كَأَنَّ الْهَامَّ فِي الْهَيْجَا عُمُيُونَ
وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ
وَقَدْ صُغَتْ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ
فَمَا يَخْطُرَنَّ إِلَّا فِي الْفُؤَادِ

وفي مبيت علي عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله حين خرج إلى الغار طلباً للهجرة إلى المدينة، يقول الناشئ:

وَقَى النَّبِيَّ بِنَفْسٍ كَانَتْ يَبْدُهَا
دُونَ النَّبِيِّ قَرِيرَ الْعَيْنِ مُحْتَسِبًا
حَتَّى إِذَا مَا أَتَاهُ الْقَوْمُ عَاجِلَهُمْ
بِقَلْبٍ لَيْثٍ يَعَافُ الرَّعْبَ مَا وَجِبَا
فَسَاءَ لَوْهُ عَنِ الْهَادِي فَشَاجِرُهُمْ
فَخَوْفُوهُ فَلَمَّا خَافَهُمْ وَتَبَا^(١١٠)

وأنشد الناشئ في حمل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على كتفيه لتكسير الأصنام عن البيت الحرام، قال:

وَكَسَّرَ أَصْنَاماً لَدَى فَتْحِ مَكَّةِ
فَأَوْرَثَ حِقْداً كُلَّ مَنْ عَبَدَ الْوُثْنَ
فَأَبَدَتْ لَهُ عَلَيَا قُرَيْشٍ عَدَاوَةً
فَأَصْبَحَ بَعْدَ الْمِصْطَفَى الطُّهْرَ فِي مَحْنٍ
يُعَادُونَهُ أَنْ أَحَقَّتْ الْكُفْرَ سَيِّفُهُ
وَأَضْحَى بِهِ الدِّينُ الْحَنِيفِيُّ قَدْ عَلَنُ^(١١١)

إذ كان نورا مسطويا شاملا

وإذا استطال الشبيء قام بنفسه

وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

(١٠٩) راجع الغدير: ج ٤ ص ٢٥.

(١١٠) راجع مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٣٣٧.

(١١١) راجع مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٤٠٢.

كتب ياقوت الحموي^(١١٢) في (معجم الأدباء) أنه روى الخالغ قال: كنت أنا وأبي في سنة (٣٤٦هـ) في مجلس المحدث الكبوذي المنعقد في المسجد الواقع بين سوق بيع الكتب والصاغة، وكان المجلس مزدحماً بالناس، فوقع بصري على رجل وصل تواء وهو يرتدي قباءً، وفي إحدى يديه قربة ماء وشيء من الطعام، وفي اليد الأخرى يمسك بعصا، وهذا الرجل لم ينفذ بعد تراب الطريق عن قبائه، فرأيته سلم على الحاضرين بصوت عال، وقال: أنا مبعوث فاطمة الزهراء عليها السلام إليكم، فرحبوا به واستقبلوه، وتقدموا به ورفعوه بيده إلى صدر المجلس، فلما استقر به الجلوس، قال: هل لكم أن تدلوني على أحمد المزوق الخطيب الواعظ؟ قالوا: نعم، ها هو الجالس هنا. فقال الرجل: رأيت في منامي السيدة الزهراء عليها السلام وهي تقول لي: عرج إلى بغداد، واسأل عن أحمد المزوق وقل له: انشد أشعار الناشئ في تعزية ولدي، التي يقول فيها:

بَنِي أَحْمَدٍ قَلْبِي بِكُمْ يَتَقَطَّعُ

بِمَثَلِ مُصَائِي فِيكُمْ لَيْسَ يُسْمَعُ

وما أن سمع الناشئ . الذي كان حاضراً في ذلك المجلس . هذا الكلام، حتى أخذ يلطم وجهه، وتوجه إلى أحمد المزوق وضج المجلس، وأخذ الناس يرددونها إلى الظهر، وهذه القصيدة أكثر من عشرة أبيات، وبعد انتهاء المجلس، أصر الحاضرون على قبول ذلك المسافر هديتهم فلم يقبل^(١١٣). ومن الأبيات:

فما بقعة في الأرض شرقاً ومغرباً

وليس لكم فيها قتيل ومصرع

ظلمتم وقتلتم وقسم فيئكم

وضاقت بكم أرض فلم يحم موضع

جسوم على البوغاء ترمي وأرؤس

على أرؤس اللدن الذوابل ترفع

توارون لم تأو فراشاً جنوبكم

ويسلمني طيب الهجوع فأهجع

عجب لكم تفنون قتلا بسيفكم

(١١٢) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (٥٧٤-٦٢٦هـ/١١٧٨-١٢٢٩م)، مؤرخ، من أئمة الجغرافيين، له العديد من الكتب، أهمها:

(معجم البلدان) الذي يعرف بـ (معجم الأدباء).

(١١٣) راجع الغدير: ج ٤ ص ٣٠.

ويسطو عليكم من لكم كان يخضع
كأن رسول الله أوصى بقتلكم
وأجسامكم في كل أرض توزع
قال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «العمل كله هباء إلا ما أخلص فيه»^(١١٤).

(١١٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٨٩٦.

مطلعها يناسب سجع الختم

كان بابا فغاني الشيرازي من مشاهير الشعراء المعروفين في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وكان في بادئ أمره رجلاً يلهو بالخمور والفجور، منغمساً في الملهيات إلى أن شملته العناية الإلهية، فأخذ يجالس الأخيار والصالحين، واختار مجاورة شمس الشموس إمام طوس السلطان علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وفي أحد الأيام كان سدنة الروضة الرضوية المطهرة يفكرون في صنع ختم يحمل سجعا، لاستعماله في الشؤون الضرورية، إلى أن رأى أحد المتدينين المتولين لخدمة الروضة المطهرة للإمام الرضا عليه السلام في المنام أنه تشرف بخدمة الإمام عليه السلام، وهو يقول له: «إذا أصبح الصبح إذهب إلى خارج المدينة فترى رجلاً حافي الرأس والقدمين يأتي راجلاً، وكان قد قال قصيدة في مدحنا، ومطلعها يناسب سجع الختم».

وامتثالاً لأمر الإمام عليه السلام فقد خرج سدنة الحضرة المطهرة صباحاً إلى خارج المدينة لاستقبال الرجل الذي أشار له الإمام عليه السلام، فأرأوا بابا فغاني وعرفوه، وجيء به إلى المدينة باستقبال حار منقطع النظر، وأخذوا مطلع قصيدته سجعا للختم المبارك وهو قوله: (ما ترجمته)

الخط الذي جزء منه كرامة للأفلاك التسعة

هو علامة خاتم سلطان الدين أبي الحسن ^(١١٥)

ليس هناك ما يشير الدهشة والاستغراب في هذه الحكاية، فليس من الضرورة أن يظل متعاطي الفجور فاجراً طوال حياته، ولا من يدعي الطهر طاهراً طوال حياته، فالكثير ممن كانوا منغمسين في مستنقع الفجور والرذيلة أدركتهم رحمة الله وصفحته فتبرؤوا من ماضيهم الموبوء ونالوا درجة الاستقامة والإخلاص والتوبة النصوح، وهناك من كان طاهر الثوب عفيف

(١١٥) أصل البيت باللغة الفارسية هو:

خطى كه يك رقمش آبروى نه چمن است

نشان خاتم سلطان دين أبو الحسن است

الذيل فانقلب على عقبه ليصبح فاسداً مفسداً لا تناله رحمة الله، وكما أن التطور نحو الأفضل ممكن فإن الانحدار نحو الأسوأ ممكن أيضاً، وكما أن التحول من مباءة الشر إلى مملكة الخير محتمل فإن التحول من مملكة الخير إلى مباءة الشر محتمل أيضاً. ويبقى المحك في التوبة النصوح وفي الإخلاص، فمن نالها فقد فاز، ومن تجاهلها وابتعد عنها فقد خسر، وقد لخص كل ما تقدم مولانا أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «إن تخلص تفض»^(١١٦).

(١١٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٩٠٢.

خلعة على قبر الرسول ﷺ

كان السيد حسن الغزنوي من مشاهير الشعراء، وقد سافر في وقت من الأوقات إلى الحجاز، وتشرف بزيارة مرقد صاحب الرسالة النبي الأكرم ﷺ، فأنشد قصيدة غراء، وصاح بصوت عال قريباً من القبر المطهر لصاحب الرسالة ﷺ، يطلب الصلة والخلعة. فقد ذكر صاحب (رياض العارفين)^(١١٧): أنه وجد خلعة قد وضعت أمامه، فأخذها ووضعها على رأسه، وخرج، فكانت هذه من كرامات الرسول ﷺ. إذ إن إخلاص هذا السيد وثقته في تلبية الرسول المصطفى ﷺ لطلبه رفعه إلى هذه المنزلة الجليلة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «عليك بإخلاص الدعاء فإنه أخلق بالإجابة»^(١١٨).

(١١٧) هو الميرزا رضا قلي خان بن محمد هادي النوري رَحِمَهُ اللهُ، نزيل طهران، الملقب في شعره ب(هدايت)، المولود سنة (١٢١٥هـ)، والمتوفى سنة (١٢٨٨هـ).

(١١٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٣ ح ٣٧٥٥.

كيف بشر؟ كيف بشر؟

كان الملا مهر علي الفدوي الخوئي المتوفى سنة (١٣٥٠هـ) من الشعراء الذين تمتاز قريحتهم الفياضة بذوق وطبع شعري رفيع إضافة إلى تبحره في العلوم، وكان ينظم الأشعار باللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية، ومن أشهر قصائده: (القصيدة الغديرية) التي أثبت فيها مدى عشقه وعلاقته وإيمانه بمولى المتقين الإمام علي عليه السلام.

وقد حكى المرحوم الملا علي الخياباني الكراميتي^(١١٩) بصدده هذه القصيدة، قال: ذكر المرحوم فيلسوف الدولة الميرزا عبد الحسين خان^(١٢٠) الزنوزي، تبريزي الأصل، مشهدي المسكن، الملا مهر علي التبريزي الخوئي المعروف بالفدوي، قال: من قصائده العربية المشهورة القصيدة التي قالها في مدح أمير المؤمنين عليه السلام وهي:

ها علي بشر كيف بشر	رئُهُ فِيهِ تَجَلَّى وَظَهَّرْ
هو والمبدأ شمس وضياء	هو والواجب شمس وقمر
أذن الله وعين الباري	يا له صاحب سمع وبصر
علة الكون ولولاها لما	كان للعالم عين وأثر
فلك في فلك فيه نجوم	صدف في صدف فيه درر
جنس الأجناس علي وبنوه	نوع الأنواع إلى حادي عشر
كل من مات ولم يعرفهم	موته موت حمار وبقر
قوسه قوس صعود ونزول	سهمه سهم قضاء وقدر
ما رمى الرمية إلا وكفى	ما غزا الغزوة إلا وظفر
أسد الله إذا صال وصاح	وأبو الأيتام إذا جاد وبر
بو تراب وكنوز العالم	عنده نحو تراب ومدر
من له صاحبة كالزهراء	أو سليل كشبير أو شبر

(١١٩) هو الحاج المولى علي بن عبد العظيم الواعظ الخياباني التبريزي رحمته الله، المولود سنة (١٢٩٦هـ)، والمتوفى سنة (١٣٧٣هـ)، مؤرخ وأديب، من آثاره: (وقائع الأيام) في عدة مجلدات، و(منتخب المقاصد ومنتخب الفوائد) في ستة مجلدات، و(ريحانة الأدب)، وغيرها من الكتب.

(١٢٠) هو الميرزا عبد الحسين خان بن الميرزا محمد حسين بن عبد الكريم الزنوزي التبريزي رحمته الله مؤلف كتاب (مطرح الأنظار في طبقات أطباء الأعصار)، وكتاب (تاريخ تبريز).

أيها الخصم تذكر سندا متنه صح بنص وخبر
إذ أتى أحمد في خم غدیر بعليّ وعلى الرحل نبر
قال: من كنت أنا مولى له فعليّ له مولى ومفر^(١٢١)

والمعروف أنه بعد نظمه هذه القصيدة رأى في عالم الرؤيا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وكان أمير
المؤمنين عليه السلام معه جالسا، فقال النبي صلى الله عليه وآله للملا مهر علي: «القصيدة التي قلتها في مدح
ابن عمي أنشدنيها».

فأخذ الملا مهر علي يقرأ، فلما أنشد المقطع الأول، قال النبي صلى الله عليه وآله: ثلاث مرات:
«كيف بشر؟ كيف بشر؟ كيف بشر؟».

وكانت هذه القصة مصداقاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «بالإخلاص ترفع
الأعمال»^(١٢٢).

(١٢١) راجع اللمعة البيضاء: ص ٥١٧.

(١٢٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١١.

سأكتب لك حوالة

كان أحد الشعراء قد نظم قصيدة شعرية في مدح أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وقصد السلطان شاه عباس الصفوي^(١٢٣) وقرأها بحضوره، ولما كان الشاه عباس قد استولى عليه الغضب نتيجة أمر من أمور الدولة ومشاكلها، لم يعط للشاعر صلة، وقال له: خذ صلتك من علي عليه السلام.

فقال الشاعر: لا بأس، إني أخطأت عندما قرأت لك أشعاري.
وكلمًا ألحَّ الشاه عباس بعد ذلك وأصرَّ على الشاعر أن يقبل صلته، رفضها وامتنع عن قبولها.

ثم إن الشاعر عزم على السفر إلى النجف الأشرف حافياً، ومع كل الصعوبات التي لقيها في أثناء الطريق، تشرف بزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: يا أمير المؤمنين! لا أريد أن أنشد أشعاري بحضرتك، لأنك أعلم بها، وكن على يقين أنني لن أبرح من مكاني هذا ما لم أنل الصلة منك، ولو طال بي المقام في حرمك حتى الموت، واستمرَّ به هذا الحال إلى منتصف الليل وهو يبكي ويخاطب الإمام عليه السلام حتى أخذه النوم، فرأى في عالم الرؤيا أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أعطاه ورقة مكتوب عليها بخطه الشريف المبارك: «هذه حوالة إلى سفير سلطان الفرنج في بغداد، تسلمها له، وتأخذ صلتك».

فلما انتبه من نومه، رأى الحوالة في يده، وفرح بها، وجاء إلى بغداد ليسأل عن السفير، فأعلموه بمكانه، فجاء ودخل دار السفير، فرأى السفير ينتظره، فسلمه الحوالة فسُرَّ السفير بها وقبَّلها ووضعها على عينه، وقال: على عيني، إن للحضرة المباركة أمانة عندي، فأتى بإناء مملوء بالجواهرات وقدمه للشاعر، وقال: هذه قصتي: كنت في أحد الأيام ذاهباً للتجارة، فلما

(١٢٣) هو الشاه عباس الصفوي المولود سنة (١٥٧١هـ) وهو من أولاد السلطان محمد المكثوف المعروف بـ(خداي بنده)، وهو الذي ضم ولاية بغداد وكربلاء والنجف والموصل وديار بكر، وعقد صلحاً مع العثمانيين، وانصرف إلى تنظيم الدولة وإنشاء الجسور والمساجد، وأكرم العلماء وأحسن السياسة، ونقل العاصمة من قزوین إلى أصفهان، وكان من محبي آل البيت ويعظم الشعائر، وهو الذي بنى ورسم صحن الإمام علي عليه السلام وهو الذي أمر الكاظمي بشرح كتاب (الصافي) فشرح فيه جميع أبواب الأصول والفروع في مدة عشرين سنة، توفي الشاه عباس سنة (١٦٢٩هـ).

ركبنا الباخرة، أخذ الموج يتلاطم في وسط البحر، فبقينا على قيد الحياة بعد أن أوشكنا على الموت غرقاً، ومضت مدة حتى تلفت أرواح من بقي في السفينة نتيجة الجوع، فرأيت نفسي مشرفاً على الهلاك، فناديت يا علي! وإذا أنا براكب على سطح الماء وقد جاء بي وبالباخرة على ساحل البحر، وهو يقول: «كل هذه الأموال في الباخرة هي لك»، فأخذت الإناء المملوء بالمجوهرات، لأعطيه إلى الحضرة المباركة، فقال عليه السلام: «احتفظ بها سأكتب لك حوالة».

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قدّموا خيراً تغنموا، وأخلصوا أعمالكم تسعدوا»^(١٢٤).

أي أن هناك علاقة حميمة بين العمل والسلوك من جهة، والجزاء من جهة أخرى، ومن يتوخى الخير لا يمكن أن ينال الشر، وإن من يزرع عنباً لا يمكن أن يحصد شوكاً، وكذلك من يحسن فلن ينال إلا الإحسان، ومن يعط فلن يجازى بالجحود، ومن يخلص فلن يجازى بالخيانة، إنما يكافأ الإحسان بالإحسان ويجازى المعطي بالشكر، والمخلص بالمكافأة الجزيلة، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(١٢٥).

(١٢٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٨٩٥.

(١٢٥) سورة الرحمن: ٦٠.

استح من وجه علي ءللسلام

أنشد الناجي قصيدة في مدح أمير المؤمنين الإمام علي ءللسلام، وفي إحدى الليالي رأى في عالم الرؤيا أنه تشرف بلقاء الحضرة المقدسة، والإمام ءللسلام يقول له: «القصيدة التي أنشدتها فيّ اقرأها عليّ».

فأخذ الناجي يقرأ أشعاره وكله شوق ولهفة، وفي الختام أضاف اسمه إلى تلك الأشعار، قائلاً: (ما مضمونه)

يا ناجي! إذا كان حساب الحشر بيد علي ءللسلام
فاسمع مني وأكثر من ذنوبك مهما استطعت^(١٢٦)
فقال له أمير المؤمنين ءللسلام: كل ما قلته جيّد، ولكن عليك بإصلاح آخره وليكن هكذا:
(ما مضمونه)

يا ناجي! إذا كان حساب الحشر بيد علي ءللسلام
فاستح من وجه علي ءللسلام وقلل من ذنوبك^(١٢٧)

(١٢٦) أصل البيت باللغة الفارسية هو:

ناجي أكر معامله حشر با علي است
از من شنو هر آنجه تواني گناه كن

(١٢٧) أصل البيت باللغة الفارسية هو:

ناجي أكر معامله حشر با علي است
شرم از رخ علي كن وكمتر گناه كن

لك علينا حقان ...

كان المولى حسن الكاشي^(١٢٨) من المعاصرين للعلامة الحلبي^(١٢٩) صاحب (العقود السبعة) في مدائح أمير المؤمنين عليه السلام باللغة الفارسية، عاش في عهد دولة السلطان محمد خدائي بنده^(١٣٠).

وكان هذا المولى الجليل من شعراء مجلس السلطان محمد المعروف ب(شاه خدائي بنده)، وله حكايات ومواقف لطيفة ومباحثات طريفة مع المخالفين تشهد بعلو منزلته وارتفاع درجته وعمق فلسفته.

ذكره السمر قندي في كتابه الموسوم بـ(التذكرة الدولتशाहीة) فقال بعد وصفه البالغ بالفضل والتقوى والورع والولاية الثابتة: إن المولى حسن المذكور لم ينشد أبداً في غير مدائح أهل البيت المعصومين عليهم السلام، وأنه لما رجع من زيارة الحرمين الشريفين قصد طريق العراق، وتوجه إلى زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فوقف أمام باب الحضرة، وأنشد إحدى قصائده. فلما أقبل الليل رأى أمير المؤمنين عليه السلام في النوم يقول له: «يا كاشي! قدمت إلينا من بعيد، ولك علينا حقان: حق الضيافة، وحق صلة أشعارك، فأخرج أنت في هذه الساعة إلى مدينة البصرة، واطلب هناك رجلاً تاجراً، يدعى مسعود بن أفلاح، ثم بلغ إليه سلامنا، وقل له: إن أمير المؤمنين عليه السلام يقول لك: إنك قد نذرت لنا في هذه السنة عند خروجك إلى

(١٢٨) المولى حسن الكاشي الأصل الأملي مادح أهل البيت عليهم السلام أصله من كاشان ومولده ومسكنه في (آمل)، من أهل أواخر المائة السابعة أو أوائل الثامنة، ولم يعلم تاريخ وفاته، قبره على المشهور في حجرة وراء الشباك المشرف على السوق العتيق بالكاظمية قريباً من المقبرة المشهورة للسيد المرتضى، وهو من مشاهير شعراء الفرس، فاضل محقق مدقق شاعر منشئ ماهر جليل القدر نشر مذهب الشيعة، وهو من معاصري العلامة الكاظمي، راجع الذريعة: ج ٢ ص ٣٩١.

(١٢٩) هو العلامة الحسين بن يوسف بن المطهر الحلبي الأسدي عالم الشيعة وإمامهم ومصنفهم، كان آية في الذكاء، شرح مختصر ابن الحاجب شرحاً جيداً سهل المأخذ غاية في الإيضاح، واشتهرت تصانيفه في حياته، رافق السلطان محمد خدابنده مدة من حياته، وعلى يديه انتشر مذهب الإمامية انتشاراً واسعاً في بلاد فارس، انقطع رحمته الله آخر عمره إلى الحلة موطنه الأصلي وتوفي فيها عن ثمانين سنة في محرم عام (٥٧٢٦هـ).

(١٣٠) هو السلطان محمد خدابنده أوجتايو، المتوفى سنة (٧١٧ أو ٧١٩هـ)، كان ذا صفات جلييلة وخصال حميدة، ووقَّه الله لاعتناق مذهب الإمامية بعد مناظرة جرت في حضرته بين علماء العامة والعلامة الحلبي، وبذلك انتشر مذهب التشيع في بلاد فارس، وللمزيد راجع إيضاح الاشتباه للعلامة الحلبي: ص ٤٢.

عمان أن تصرف إلينا ألف دينار، لو خرجت سفينة متاعك إلى ساحل البحر بالسلامة، فأوف لنا بعهدك، وخذ عنا تلك الدنانير من ذلك الرجل، واصرفها في محابيك». فلما ورد المولى حسن إلى البصرة وقابل الرجل المذكور، وقص له الحكاية، كاد أن يغشى عليه فرحاً، وقال: بعزة الله لم أخبر أحداً إلى الآن من حقيقة عهدي المذكور، ثم سلمه الألف دينار، وزاد عليها شكراً على هذه النعمة العظيمة خلعة فاخرة للمولى حسن الكاشي، ووليمة لسائر فقراء البلاد.

وهذا الأمر ليس غريباً ولا عجبياً، فإن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام يقول: «أخلص تنل»^(١٣١).

ونستخلص من هذا أن المخلص حتى وإن لم يكن يضع نصب عينيه نيل الجائزة، وحتى لو كان لا يهتم سوى إنجاز العمل وإتقانه، لكان الأمر يقتضي مكافأته على إخلاصه لكي يتلمس صواب سلوكه، ثم إن المكافأة - معنوية كانت أم مادية - ستحفز المخلص على تكرار سلوكه والمثابرة عليه، كما أنها تظهر البون الشاسع والهوة الكبيرة بين من أخلص في سلوكه إلى الله تعالى وإلى أوليائه، وبين من خان وأساء، ولو حدثت المساواة بين المخلص والخؤون لثبنت عزيمة المخلص ولتشجع الخؤون على الخيانة، فيشيع المرض في المجتمع على العافية.

(١٣١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١١.

استعد واقرأ

نقل أحد العلماء كرامة للمولوي الشيخ محمد حسن القندهاري^(١٣٢) بسبب تضمين القصيدة الغديرية للملا مهر علي الخوئي.

قال: كنت أسكن مشهد الإمام الرضا عليه السلام المقدس، ومن الملازمين للمرحوم الشيخ علي أكبر النهاوندي^(١٣٣)، وغيره من الشيوخ، فأرسلوني إلى باكستان وقندهار.

وفي إحدى الليالي وأثناء رجوعي إلى المشهد المقدس، دخلت مسجد كوهر شاد، وقد حان وقت أذان المغرب، وكان الشيخ علي أكبر النهاوندي مشغولاً بالصلاة، وعند فراغه من الصلاة تقدمت إليه وسلمت فأخذ يسأل عن أحوالي، وفي هذه الأثناء وقف المرحوم الحاج قوام اللاري لقراءة عزاء الإمام الحسين عليه السلام، وفي المقدمة أنشد هذا البيت الذي لم يطرق مسامعي من قبل:

ها علي بشر كيف بشر ربه فيه تجلى وظهر

فتغير حالي، وكنت أستمع لكلام الحاج الشيخ علي أكبر النهاوندي بأذن، والأذن الأخرى أستمع بها لكلام الحاج قوام، فرجعت إلى البيت بعد أن اهتزت كياني وانقلب وضعي، وكنت لوحدي، فتناولت قلمي واستجمعت أفكارني ثم دونت تلك الأشعار.

ومرّت أربع سنوات، ولم أعرف هل هذا المدح مقبول أم لا؟، وكنت في أحد الأيام نائماً بعد الصلاة، فأريت في عالم الرؤيا كأني تشرّفت بزيارة كربلاء المقدسة، فدخلت الرواق

(١٣٢) هو الشيخ محمد حسين بن المرحوم الحاج محمد معصوم القندهاري رحمته الله القزويني الأصل الحائري المنشأ والتحصيل، والشيرازي الموطن والخاتمة، كان فاضلاً نبيلاً ومجتهداً جليلاً، له مؤلفات عديدة منها: (مصاييح الهداية في شرح البداية)، و(رياض الشهادة في ذكر مصائب السادة) و(نور العين) ويشتمل على ٤٠ مجلساً في ذكر آل البيت عليهم السلام.

(١٣٣) هو الشيخ المولى علي بن فتح الله النهاوندي النحفي رحمته الله، علامة كبير ومحقق جليل، لازم في النجف الأشرف العلامة الشيخ مرتضى الأنصاري رحمته الله، ثم سافر إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام فبقي هناك ملازماً درس الشيخ نصر الله الشيرازي، وبعد فترة عاد إلى النجف الأشرف وعقد حلقة درس خاصة به، وكان من أجل تلامذته الميرزا حبيب الله الرشتي رحمته الله. هذا وقد ابتلي أواخر عمره بمرض البواسير والرعشة وكان مع تلك الحالة في غاية الاحتياط، واشتد به المرض فتترك الدرس ولازم بيته إلى أن توفي سنة (١٣٠٨هـ)، له كتاب (تشريع الأصول الصغير) وكتاب (تشريع الأصول الكبير) وكتاب (رواشح الأصول).

المبارك، وكانت أبواب الحرم المطهرة مغلقة، وكان الزوار بين الرواق مشغولين بقراءة زيارة وارث.

فامتألت غماً بسبب غلق الأبواب، فسألت: هل تفتح الأبواب؟ قيل لي: نعم، بعد ساعة واحدة، لأن العلماء والمجتهدين الأولين منهم والآخريين الآن في حرم حضرة سيد الشهداء عليه السلام وهم مشغولون بإنشاد المدائح.

وفي عالم الرؤيا ذهبت إلى جهة المقتل، فلم يهدأ قلبي، فقصدت جهة الشباك الذي يعلو الرأس المبارك، ونظرت من خلاله، فرأيت العلماء، وقد تعرفت على عدد منهم، ومن جملتهم:

المرحوم العلامة المجلسي^(١٣٤)، والملا محسن الفيض الكاشاني^(١٣٥)، والسيد إسماعيل الصدر^(١٣٦)، والميرزا محمد حسن الشيرازي^(١٣٧)، والشيخ جعفر الشوشتري^(١٣٨) (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

(١٣٤) هو العلامة محمد باقر بن مقصود علي الأصفهاني الملقب بالمجلسي رحمته الله، من مشاهير العلماء والمحدثين ومن كبار فقهاء الشيعة، كانت إليه زعامة الحوزات العلمية على عهد الصفوية، عمدة كتبه كتاب (بحار الأنوار)، ولد سنة (١٠٣٧هـ=١٦٢٧م)، وتوفي سنة (١١١١هـ=١٧٠٠م)، ودفن في الجامع العتيق في مدينة أصفهان.

(١٣٥) هو العالم الفاضل المولى محمد المحسن بن المرتضى الفيض الكاشاني رحمته الله مؤلف كتاب (الوافي) و(مفاتيح الشرائع) و(المحجة البيضاء) وغيرها، ومن تلاميذ السيد ماجد البحراني في الفقه والحديث، ولد سنة (١٠٠٧هـ)، وتوفي سنة (١٠٩١هـ).

(١٣٦) هو السيد إسماعيل بن السيد صدر الدين العاملي رحمته الله، من أعظم العلماء وأكبر المراجع، ولد في أصفهان سنة (١٢٥٨هـ)، ونشأ فيها، وتعلم على يد العلامة الشيخ محمد باقر الأصفهاني، وسافر إلى النجف عام (١٢٧١هـ)، ثم هاجر إلى سامراء عام (١٣١٤هـ)، توفي عام (١٣٣٨هـ) ودفن في الكاظمية.

(١٣٧) آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي رحمته الله، المشهور بالمجدد، عميد أسرة الشيرازي، ولد في ١٥ جمادى الأولى (١٢٣٠هـ)، هاجر إلى النجف الأشرف سنة (١٢٥٩هـ) ثم إلى سامراء (١٢٩١هـ). تتلمذ عند العلماء الأعلام أمثال السيد حسن المدرس والمحقق الكلباسي وصاحب الجواهر والشيخ الأنصاري. آلت إليه المرجعية سنة (١٢٨١هـ) بعد وفاة أستاذه الشيخ الأنصاري. قارع الاستعمار البريطاني في ثورته المعروفة (التبناك) والتي أيقظت العالم الإسلامي وأعطته الوعي السياسي في تاريخه الحديث، فقد تنبه المسلمون بفضلها إلى الأخطار التي يسببها النفوذ الأجنبي في بلادهم. ووقف كذلك بوجه الفتنة الطائفية التي أحدثها ملك أفغانستان عبد الرحمن خان حيث أخذ يقتل الشيعة ويجعل من رؤوسهم منائر في كل مكان. وقد تسالم المؤرخون على وصفه: إماماً عالماً فقيهاً ماهراً محققاً رئيساً دينياً عاماً وورعاً نقيماً، ثاقب الفكر، بعيد النظر، مصيب الرأي، صائب الفراسة، يوقر الكبير ويخون على الصغير، ويرفق بالضعيف، أعجوبة في أحاديثه وسعة مادته وجودة قريحته.

(١٣٨) هو الشيخ جعفر بن المولى حسين بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين رحمته الله الشهير بالنجار، وسمي بالشوشترى نسبة إلى مدينة (شوشتر) الإيرانية والتي يسميها العرب (تستّر)، من أعظم علماء عصره وأجلهم فقهاً ودينياً، من كتبه: (منهج الرشاد)، و(الخصائص الحسينية)، و(فوائد المشاهد)، توفي عام (١٣٠٣هـ) في كرنند، ونقل إلى النجف الأشرف.

كان الحرم المطهر مملوءً بالزائرين، وكلهم مجتمعون حول الضريح المقدس وخلف الشباك، وكان هؤلاء يرأسهم المرحوم السيد حسين القمي رحمته الله (١٣٩)، فيأمر أن يتقدم شخص ما ويقرأ، وبعد انتهاء القراءة يقول له الآخرون: أحسنت وبيكون.

فرأيت عدداً منهم قد صعدوا عالياً وقرأوا ثم نزلوا.

وفي نفس عالم الرؤيا تصرفت كالصبيان وأدخلت نفسي في الشباك حتى تسللت إلى داخل الحرم المطهر، ولم يكن هناك من مكان إلا بجانب السيد القمي رحمته الله، فاضطرت أن أجلس هناك، وكنت وكيلاً للسيد القمي عندما كان في المشهد المقدس.

فلما رأني، قال لي: مولوي حسن!

قلت: نعم سيدي! فقال: استعد وقرأ.

فكأنني وقعت من مكان عالٍ، فإن هذا أمر الإمام وليس لي حيلة؟! وأنا بحضور كلِّ هؤلاء العلماء الأعلام، أيّ آية أعنون؟ وأيِّ حديث أطبق؟ كيف أستطيع الكلام؟ وبماذا يلهج لساني؟ فوقع في قلبي إلهام غيبي، فقرأت:

ها علي بشر كيف بشر ربه فيه تجلى وظهر
عقل كليه به ما داد خبر (١٤٠) أنا كالشمس علي كالقمر

فقرأت الأشعار حتى أتيت على آخرها، فلما انتبهت من نومي، حُمّ قلبي وأخذ العرق يتفصّد مني، وكأني كنت فارقت الحياة، فشكرت الله وحمدته على العناية الربانية التي حصلت لي بقبول مديحي.

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أخلص بلغ الآمال» (١٤١).

(١٣٩) هو آية الله العظمى المرحوم السيد آغا حسين القمي رحمته الله، المولود سنة (١٢٨٢هـ)، فقيه متضلّع وأصولي بارع وزعيم روحي، ومن مراجع التقليد الأفاضل، توفي يوم ١٤/ربيع الأول (١٣٦٦هـ).

(١٤٠) مضمون هذا البيت:

أن عقل الكل (يقصد الرسول الكريم عليه السلام) أعطانا الخبر

بأنه الشمس وأن أمير المؤمنين عليه السلام هو القمر

(١٤١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٧.

الزهراء عليها السلام تنظم مطلع القصيدة

يروى عن السيد حيدر الحلبي رحمته الله (١٤٢) أنه قال: تشرفت في عالم الرؤيا بلقاء الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فسلمت عليها، وردت عليّ السلام، ثم رفعت عليها السلام رأسها الطاهر، وأنشدت هذا البيت من الشعر:

أ نَاعِي قَتَلِي الطَّفَّ لَا زِلْتَ نَاعِيَا

تَهِيحُ عَلَي طُول اللَّيَالِي الْبَوَاكِيَا

فشرعت في البكاء، واستيقظت من نومي وأنا أكرر هذا البيت، حتى ألهمني الله تعالى لأكملة، وشرعت أقول:

أَعِدْ ذِكْرَهُمْ فِي كَرِبَلَا إِنَّ ذِكْرَهُمْ

طَوَى جَزَعاً طَيِّ السَّجَلِ فُؤَادِيَا

إلى آخر الأبيات التي نظمتها، وهي من القصائد التي أوصيت أن توضع في كفي. كما أنه يروى عنه أنه كان ينظم في كل عام قصيدة واحدة فقط، وحين ينتهي من نظمها يتوجه بها من مدينته الحلة إلى كربلاء ماشياً على قدمه ليقراها عند ضريح سيد شباب أهل الجنة. وفي إحدى السنين وبينما هو سائر في طريقه إلى كربلاء المقدسة صادفه رجل قائلاً له: أريد منك أن تقرأ لي قصيدتك العينية، فقرأ له السيد الحلبي إحدى قصائده، لكن الرجل طلب قصيدة عينية غيرها، فقرأ السيد غيرها، وغيرها، وغيرها حتى أتى على كل قصائده المنتهية بحرف العين، والرجل يطلب منه المزيد، ولم تبق لدى السيد إلا القصيدة التي كتبها هذا العام والتي كان يحملها معه ليقراها عند ضريح الحسين عليه السلام، فقرأها وقد نسي في تلك اللحظة أن هذه القصيدة جديدة ولم يسمعها أحد من قبل، وقد كان الرجل يستمع إلى القصيدة بتلهف شديد وكانت دموعه تسيل على لحيته أثناء إنشاد السيد لها. وحين انتهى

(١٤٢) هو العلامة السيد حيدر بن سليمان بن داود بن سليمان بن داود رحمته الله المنتهي نسبه إلى زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، المعروف ب(حيدر الحلبي)، كان فاضلاً أديباً شاعراً متميزاً في نظمه، موصوفاً بالديانة والعفة، متوقداً بالذهن ذكي الفطنة. كان عالماً جليلاً وشاعراً مجيداً وكان سيد الأدباء في عصره ولا تخلو قصائده من توسل بالإمام المهدي المنتظر عليه السلام منها:

مَاتَ التَّصَبُّرُ فِي انْتِظَارَا رَكَ أَيْهَا الْخِيَمِي الشُّرَيْعَةُ

فَأَنْهَضَ فَمَا أَبْقَى التَّحُمُلُ غَمِيرَ أَحْسَاءٍ جَزُوعَةُ

ولد بالحلة سنة (١٢٤٠هـ) تقريباً، وتوفي فيها سنة (١٣٠٤هـ) وحمل إلى النجف الأشرف فدفن في الصحن الشريف أمام الرأس الشريف.

السيد من القراءة شكره ذلك الرجل وانصرف عنه، وبعد فترة قصيرة تذكر السيد أن هذه القصيدة لم يسمعها أحد من قبل فكيف طلب هذا الرجل سماعها، فطلبه فلم يجده، فعرف أنه الإمام المهدي عليه السلام، جاء لسمع هذه القصيدة.

والقصيدة في غالب أبياتها تتوجه إلى الإمام صاحب الزمان عليه السلام مطالبة إياه بالقيام والنهوض بأمر الإسلام والمسلمين وتحقيق الوعد بإقامة دولة تعز الإسلام وأهله، ومما جاء في هذه القصيدة قوله:

اللَّهُ يَا حَامِيَ الشَّرِيعَةَ أَ تَقْرُ وَهِيَ كَذَا مَرْوَعَةً
بِكَ تَسْتَعِيثُ وَقَلْبُهَا لَكَ عَن جَوَى يَشْكُو
تَدْعُو وَجُرْدُ الْخَيْلِ مُصْبِ غِيَّةٌ لِدَعْوَتِهَا سَمِيعَةً
وَتَكَادُ أَلْسِنَةُ السُّيُوفِ فِي بُحْبُوبِ دَعْوَتِهَا سَرِيعَةً
فَصُدُورُهَا ضَاقَتْ بِسَرِّ الْمَوْتِ فَأُذُنٌ أَنْ تُذِيعَهُ

ويستمر السيد في استنهاض الإمام عليه السلام فيقول:

مَاتَ التَّصَبُّرُ فِي انْتِظَارِ رِكَ أَيْهَا الْمَحْيِيِّ الشَّرِيعَةَ
فَأَنْهَضُ فَمَا أَبْقَى التَّحُمُّ لَ غَيْرِ أَحْشَاءٍ جَزُوعَةً
قَدْ مَزَّقَتْ ثَوْبَ الْأَسَى وَشَكَّتْ لِوَأَصْلِهَا الْقَطِيعَةَ
كَمْ ذَا الْقُعُودِ وَدَيْنُكُمْ هُدِمَتْ قَوَاعِدُهُ الرَّفِيعَةَ

ويعرض السيد الحلبي المآسي والنكبات التي مُني بها الإسلام وابتلي بها المسلمون، حتى

يُعرِّج إلى مصيبة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الخالدة في دنيا الأحران، فيقول:

أُتْرَى بَجِيءٍ فَجِيعَةً بِأَمْضٍ مِنْ تِلْكَ الْفَجِيعَةَ
حَيْثُ الْحَسِينُ عَلَى الثَّرَى خَيْلُ الْعِدَى طَحْنَتْ ضُلُوعَهُ
وَرَضِيعُهُ بِدَمِ الْوَرِيءِ مِدِّ مَخْضَبٍ، فَاطْلُبْ رَضِيعَهُ

قصره مقابل قصورنا

حكى شخص من أهل البحرين قال: كنت جالساً في ليلة التاسع من محرم الحرام في أحد مجالس العزاء، وكنت أبكي لمصائب حضرة سيد الشهداء عليه السلام، حتى ضعفت قوتي، فجلست في زاوية من زوايا المجلس حتى غلبنى النوم.

وفي عالم الرؤيا رأيت نفسي وكأني في بستان كبير فيه أنواع الأشجار والزهور والفواكه، فوقع نظري علي طير فوق غصن الشجرة، وهو يصرخ ويضج بصوته كأنه امرأة مكلومة، فقلت: سبحان الله! كيف يصرخ هذا الطير؟ ثم ابتعدت عن الطير لأن صوت صراخه قد قطع نياط قلبي، فرأيت امرأة مجللة جالسة بجانب حوض، ويدها ثوب أبيض ممزق قطعة قطعة، وهي تغسل الدم في ذلك الثوب، وتنظر إلى آثار السهام والسيوف فيه، وعيناها تذرغان الدموع، وتقول: «أبه! ألم تر كيف فعلت أمتك بنا؟ ضيعوا حقنا، كسروا ضلعي، ألم يكونوا قد دعوا ولدي إلى الكوفة، وذبحوه عطشاناً»، ثم قالت: «أي بني! لم تعرفهم نفسك؟ لعلهم لم يعرفوا جدك وأباك».

فالتفت فإذا أنا بجسد مقطوع الرأس، عليه جبة من الخز، والدم يسيل منه، وهو يقول: «أماه! وحقك أقسمت عليهم، ولكن لم يراعوا لنا حرمة! منعوا عنا ماء الفرات الذي ترد منه الكلاب والخنازير».

فتقدمت إليها، وقلت لها: من أنت؟ وما هذا البدن بدون رأس؟ قالت: «أنا فاطمة أم الحسين بنت رسول الله وهذا البدن لولدي الحسين».

ثم رأيت نساءً قد جئن وجلسن حول البدن، فقلت: ما هذا القميص الممزق ولمن؟ فقالت عليها السلام: «كلما أردت أن أبكي ولدي الحسين أخرج هذا القميص، وحالي هذا إلى يوم القيامة».

فقلت لها: يا سيدتي ومولاتي! إن والدي كان يقول الشعر فيك وفي ولدك الحسين عليه السلام، وكان ينشد المراثي ويقيم العزاء، فكيف جازاه الله؟

قالت عليها السلام: قصره مقابل قصورنا، وأبوك قائل هذا الشعر:

أَيُّهَا الشَّيْعِي إِبْرِكْ لِلشَّهِيدِ الْمَسْتَضَامِ
لَا تَمَلِّ التُّوْحَ فَيَمَنْ جَدُّهُ خَيْرُ الْأَنْامِ
وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «ملوك الجنة الأتقياء والمخلصون»^(١٤٣).

(١٤٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩٢٠.

عليك أن تبدأ بالحسن عليه السلام

حكى عن وصال الشيرازي^(١٤٤): أنه راجع طبيب العيون لمرض أصاب عينه، فأوضح له الطبيب إمكانية العلاج شريطة أن يعزف تماماً عن القراءة ومزاولة أعمال الكتابة والنظم والخط حمايةً واهتماماً بعينه، فعالجها الطبيب، إلا أن وصال أخذ يقرأ ويضعف مهاراته الأدبية حتى عميت عينه تماماً، مما اضطره أن يتوسل بمحمد وآل محمد عليهم السلام.

وفي إحدى الليالي تشرف في عالم الرؤيا بلقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول له: «لماذا لم تنشد مرثية في مصائب الحسين عليه السلام؟ قل، حتى يشفي الله تعالى عينك»، وفي نفس الوقت حضرت فاطمة الزهراء عليها السلام وقالت: «يا وصال! لو قلت شعراً في ولدي الحسين عليه السلام، فعليك أن تبدأ بولدي الحسن عليه السلام، لأن الحسن مظلوم أيضاً».

فلما أصبح وصال أخذ يطوف حول البيت واضعاً يده على الجدار، وهو ينشد شعراً هذا مضمونه:

خارت قواه وارتفع أنينه ودعا بطست
جعل ذلك الطست من كبده بستانا^(١٤٥)
فلما أنشد عجز هذا البيت رد إليه بصره، ثم قال ما ترجمته:
الدم الذي ملاً أحشائه نتيجة المصائب سال من
فأصبحت خالية بعد امتلائها خلال حياته
ألقت زينب بخمارها وتأوهت من كبدها لشدة

(١٤٤) وهو الميرزا محمد شفيع بن محمد مقيم الشيرازي رحمته الله المعروف بـ(وصال) المولود سنة (١١٩٧هـ) والمتوفى سنة (١٢٦٢هـ) في شيراز، كان من أعظم الشعراء ومشاهير الأدباء في عصر السلطان فتح علي شاه القاجاري الذي تولى الحكم من عام (١٢١١هـ) وحتى وفاته عام (١٢٥٠هـ)، وكان وصال فضلاً عن مراتبه العلمية الظاهرية والباطنية، ذا مهارة وإتقان بالخطوط السبعة: النسخ، والنستعليق، والثلاث، والرقعة، والريحان، والتعليق، والكوفي، وكان قد كتب كتباً كثيرة بخطوط مختلفة، روي: أنه كتب (٦٧) مصحفاً بخطه الجميل.

(١٤٥) أصل البيت باللغة الفارسية هو:

در تاب رفت و طشتت به بر خوانند وناله كرد
آن طشتت را زخون جگر باغ لاله كرد

ولطمت كلثوم صدرها وتأوهت من الألم^(١٤٦)

(أحسننت) .. بماء الذهب

ذكر الشيخ الأميني رحمته الله^(١٤٧) للخليعي رحمته الله^(١٤٨) شعراً كثيراً وقال في كتابه (الغدِير): له (٣٩) قصيدة في أهل البيت عليهم السلام.

كان أبو الحسن جمال الدين من شعراء أهل بيت الرسالة عليهم السلام ومادحيهم، وقد ولد لأبوين نصبا العداء لأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة عليهم السلام، وكانت أمه قد نذرت أنه إذا من الله عليها بولد، أن ترسله لقطع طريق زوّار الإمام الحسين عليه السلام وقتلهم، فلما أتت بالولد وبلغ سن الرشد، أرسلته لتفي بنذرهما.

وبينما هو في نواحي مدينة المسيب القريبة من كربلاء المقدسة، وقد نصب كميناً للزوار، غلبه النعاس فأخذته سنة من النوم، ومرت القوافل بسلام وأمان من كمينه الذي نصبه، وتركوا على بدنه وثيابه بقايا تراب وغبار القوافل، فرأى في المنام أن القيامة قد قامت، وصدر الأمر بإلقائه في النار، ولكن النار لم تمس ذلك الغبار ولم تحرقه.

فلما انتبه الخليعي من نومه، رجع عما كان عليه وتاب توبةً نصوحاً، واستقرت مودة وولاية أهل البيت عليهم السلام في قلبه، وقصد حرم الإمام الحسين عليه السلام خائفاً، وهو ينشد هذين

(١٤٦) أصل البيتين باللغة الفارسية هو:

خوئي كه خورد در همسه عمر از گلو بریخت
دل را تهمی زخون دل چنبد سـاله كـرد
زينب كشييد معجر وآه از جگر كشييد
كلثوم زد به سـينه واز درد ناله كـرد

(١٤٧) العلامة الشيخ عبد الحسين بن أحمد الأميني (١٣٢٠-١٣٩٠هـ)؛ مؤرخ أديب من فقهاء الإمامية، مولده ووفاته بإيران، نشأ وأقام بالنجف الأشرف وأسس فيها مكتبة عامة كبرى وسماها بـ (مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام)، وصنف كتباً مطبوعة، منها: (شهداء الفضيلة) و(الغدِير) و(أدب الزائر) و(رياض الأنس) في التفسير و(سيرتنا وسنتنا).

(١٤٨) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن أبي محمد الخليعي الموصلية الحلبي، توفي في حدود سنة (٨٥٠هـ) بالحلة وله قبر يزار، كان فاضلاً مشاركاً في الفنون، أديباً شاعراً. له ديوان ليس فيه إلا مدح الأئمة عليهم السلام، أصله من الموصل وسكن الحلة ومات بها ودفن في إحدى بساتين (الجامعين) بين مقام الإمام الصادق عليه السلام وقبر رضي الدين بن طاووس على مقربة من باب النجف الذي يسميه الحلبيون (باب المشهد) وعلى قبره قبة بيضاء. راجع كتاب الغدير: ج ٦ ص ١٢.

البيتين:

إِذَا شِئْتَ النَّجَاةَ فَرُزْ حُسَيْنًا
لِكَيْ تَلْقَى الْإِلَهَ قَرِيبَ عَيْنِ
فَإِنَّ النَّارَ لَيْسَ تَمَسُّ جِسْمًا
عَلَيْهِ غُبَارُ زُورِ الْحُسَيْنِ^(١٤٩)

قال العلامة النوري^(١٥٠) في كتاب (دار السلام): لما دخل الخليعي حرم الإمام الحسين عليه السلام وأنشد قصيدته، سقطت الستارة في أثناء الإنشاد من درب الحرم من جهة الروضة الحسينية على كتفه، ومنذ ذلك اليوم لقب الشاعر بالخليعي وهذا اللقب قد اختص به في أشعاره.

وروي: أنه كان بين الخليعي والشاعر ابن حماد^(١٥١) مفاخرة، وكان كلُّ منهما يظنُّ أن مدحه لأمر المؤمنين عليهم السلام أكمل وأفضل من صاحبه، فكتب كل منهما قصيدته ووضع القصيدتين في الضريح العلوي المقدس، حتى يقضي بينهما الإمام عليه السلام، فخرجت قصيدة الشاعر الخليعي، وقد كتب عليها بماء الذهب: (أحسن)، كما كتب على قصيدة ابن حماد: (أحسن) بماء الفضة. فتأثر ابن حماد من هذا الموقف، ووجه خطابه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: أنا قديم المحبة إليكم، وهذا الشخص دخل لتوه في زمرة المحبين، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه، وهو يقول له: «أنت منا كما ذكرت، في حين أنه ارتبط بنا، ودخل في ولايتنا جديداً، فاللزم مراعاة حاله».

وللخليعي في رثاء سيدة نساء العالمين عليها السلام:

لَمْ أَبْكِ رِبْعاً لِأَحَبَّةٍ قَدْ خَلَا
وَعَقَا وَغَيَّرَهُ الْجَدِيدُ وَأَمَحَلَا
كَأَنَّ وَلَا كَلَّفْتُ صَاحِي وَقَفَّةً
فِي الدَّارِ إِنْ لَمْ أَشْفِ صَبَّأً عَلَّالَا

(١٤٩) راجع كتاب الغدير: ج ٦ ص ١٢.

(١٥٠) راجع كتاب دار السلام: ص ١٨٧، والغدير: ج ٦ ص ١٣.

(١٥١) هو الشيخ الجليل الأديب أبو الحسن محمد المعروف ب(ابن حماد) من أفاضل الفيحاء ومشاهير شعرائها، وكان معاصراً للخليعي الشاعر، نظم أغلب شعره في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وله أكثر من مائتي قصيدة في حبهم، توفي بحدود سنة (٩٠٠هـ) ودفن في الحلة وقبره يزار وهو مجاور لقبر الخليعي.

لَكِنْ بِكَيْثُ لِفَاطِمٍ وَلِمَنْعِهَا
فَدَكَأَ وَقَدْ أَتَتْ الْخِثْوَانَ الْأَوْلَى
إِذْ طَالَبْتَهُ بِإِرْثِهَا فَارَوَى لَهَا
خَبْرًا يُنْفِي الْمَحْكَمَ الْمُنَزَّلَا

ومنها:

وَمُضَلَّلٍ أَضْحَى يُوْطئُ عُذْرَهُ
وَيَقُولُ وَهُوَ مِنَ الْبَصِيرَةِ قَدْ خَلَا
لَوْ لَمْ يُحَرِّمِ أَحْمَدُ مِيرَاثَهُ
لَمْ يَمْنَعُوهُ أَهْلُوهُ وَتَأْوَلَا
فَأَجَبْتُهُ: إِصْرٌ بِقَلْبِكَ أَمْ قَدِيٌّ
فِي الْعَيْنِ مِنْكَ عَدْتِكَ تَبْصِرَةُ الْجَلَا؟
أَوْ لَيْسَ أَعْطَاهَا ابْنُ خَطَّابٍ لِحِيٍّ
— دَرَّةَ الرِّضَا مُسْتَعْتَبًا مُتَنْصِّصًا؟
أَتُرَاهُ حَلَّلَ مَا رَأَاهُ مُحَرَّمًا
أَمْ ذَاكَ حَرَّمَ مَا رَأَاهُ مُحَلَّلًا؟! (١٥٢)

وله في رثاء سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام:

أَيُّ عُذْرٍ لِمُهَجَّةٍ لَا تَذُوبُ
وَحَشَاً لَا يَشِبُّ فِيهِ لِهَيْبُ؟
وَابْنُ بِنْتِ النَّبِيِّ بِالطَّفِّ مَطْرُو
حُ لَقِيَّ وَالْجَبِينُ مِنْهُ تَرْيَبُ
حَوْلَهُ مِنْ بَنِي أَبِيهِ شَبَابُ
صَرَعَتْهُمْ أَيْدِي الْمَنَايَا وَشَيْبُ
وَحَرِيمُ النَّبِيِّ عَابِرِي مِنَ الثُّكُ—
لِ وَحَسْرَى خِمَاهَا مِنْهُوْبُ
تِلْكَ تَدْعُو: أَخِي، وَتِلْكَ تُنَادِي:
يَا أَبِي، وَهُوَ شَاخِصٌ لَا يُجِيبُ (١٥٣)

(١٥٢) راجع بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٢٥٨ وما بعدها.

(١٥٣) راجع كتاب الغدير: ج ٦ ص ١٣.

فيا سبحان مقلب القلوب، ومحول الأحوال.. من ناصبي مبغض ذميم إلى موال محب حميم.. من كائن مفرط بالتزمت والضعينة إلى كائن مولع بالمودة والانتماء.

والعجب العجاب أن هذا التحول لم يكن نتيجة حوار فكري وجدل مذهبي، إنما حدث بوسيلة أيسر من ذلك بكثير، كل ما هنالك أن هذا الناصبي القاطع للطريق راوده حلم يتعلق بيوم الحساب، وحين استيقظ انقلب عنده كل شيء، فلم يعد هناك نصب وسطو على زوار الحسين عليه السلام، بل أصبح هو بالذات من زوار الحسين عليه السلام ومادحيه ومحبيه.

سقط العرش على الأرض

كان أحد الشعراء في أيام شبابه رجلاً مزاحاً وظريفاً، وفي أحد أيام شهر محرم الحرام وبدلاً من مشاركة حاضري المأتم الحسيني في البكاء، والضرب على الصدور، والانشغال في العزاء، قرأ شيئاً طريفاً عن طريق الاستهزاء، فتأثر منه المشاركون في العزاء تأثراً بالغاً وأخذوا ينتحبون بالصراخ.

ولم تمض أيام فلائل حتى ابتلي (مقبل) بمرض الجذام، لدرجة أن الناس أخذوا ينفرون منه ويتعدون عنه، ومضى على هذه الحال حتى أقبلت السنة التالية.

وشوهد (مقبل) في أحد الأيام جالساً في زاوية خربة، وقلبه مكسور يفيض ألماً، وهو يرى جمعاً من الشيعة مشغولين بالعزاء الحسيني وهم يرددون (ما ترجمته):

كيف هي كربلاء اليوم كيف هذا البلاء اليوم
رأس الحسين المظلوم قُطِعَ من بدنه اليوم^(١٥٤)

فجاشت مشاعره وتألّم في أعماقه وأخذ ينظر بحسرة إليهم، لأنه لم يشاركهم العزاء والبكاء، وبدون إرادة أخذ يبكي، وقال على البداة ما ترجمته:

اليوم يوم المصيبة والـنفس في بليّة
صراخ وبلبلّة القيامة في كربلاء اليوم^(١٥٥)

فرأى في تلك الليلة في منامه رسول الله ﷺ، وقد شمله بلطفه وعنايته، وعفا عن تقصيره، مما دفعه لينشد الأشعار في مصيبة سيد الشهداء ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

قال مقبل: لما انتهيت من قراءة واقعة الشهادة، التي صادفت ليلة الجمعة، ولكثرة ما

(١٥٤) أصل البيتين باللغة الفارسية هو:

چه كربلاست امروز چه بر بلاست امروز
سر حسين مظلوم از تن جداست امروز

(١٥٥) أصل البيتين باللغة الفارسية هو:

روز عزاست امروز جان در بلاست امروز
فغان وشور محشر در كربلاست امروز

قرأت وبكيت حتى غلبني النوم، رأيت في عالم الرؤيا حرم سيد الشهداء عليه السلام، وقد نصب فيه منبر، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله حاضراً، وفي تلك الأثناء أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بإحضار محتشم الكاشاني^(١٥٦) فجيء به إليه، فقال له صلى الله عليه وآله: «الليلة ليلة الجمعة، اصعد المنبر وقل شيئاً في مصيبة ولدي».

فامتثل محتشم أمره صلى الله عليه وآله وتوجه ليصعد المنبر، وأراد أن يجلس في الدرجة الأدنى من المنبر، فأمره صلى الله عليه وآله أن يعلو، ولما وصل إلى الدرجة الأخرى أمره صلى الله عليه وآله أن يعلو، وهكذا كان يأمره رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ارتقى أعلى المنبر، ثم شرع بقراءة أبيات هذه ترجمتها:

لما سلكت القافلة طريقها إلى ساحة الحرب
توهمت الخيـال وقـوع النـشـور
الغـزلان لا تقترب من الصحارى
غادرت الطيور أوكـارها^(١٥٧)

قال مقبل: فلما فرغ محتشم من ذكر المصيبة أهداه نبي الإسلام صلى الله عليه وآله خلعة، فظننت أن أشعاري لم تلق استحسانه صلى الله عليه وآله، لأنه لم يلتفت إلي، ولم يأمرني صلى الله عليه وآله بالقراءة. وفي هذا الأثناء وصلت حورية لخدمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقالت: الإنسية الحوراء فاطمة الزهراء عليها السلام تقول: «أمركم المقرر بأن يرثي مقبل سيد الشهداء في تلك الواقعة». ثم أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله، فارتقيت المنبر، ووقفت على الدرجة الأولى، وأخذت أنشد ما ترجمته للعربية:

(١٥٦) هو الشاعر الفارسي المشهور محتشم الكاشاني رحمته الله (٩١٣ - ٩٩٦هـ) من أشهر شعراء الفرس في القرن العاشر، له ديوان يسمى (جامع اللطائف) مطبوع بالهند وإيران، وقصة هذا الديوان: أن محتشم نظم قصيدة في مدح الشاه طهماسب الصفوي وأرسلها إليه، فأرسل إليه الشاه: إني لا يعجبني إلا ما كان في أهل البيت عليهم السلام، فظلم محتشم هذه المراثي وأرسلها إليه، فأمر له بمهدة سنوية وأجزل صلاته. وقد لاقت هذه القصائد قبولا وإقبالا منقطع النظير منذ يومه وحتى اليوم، فهي في مقدمة ما يحفظه الخطباء وفي الطليعة مما ينشده الوعاظ في ماتم الحسين عليه السلام نظما، وهي اثنتا عشرة قصيدة فارسية كل منها في اثني عشر بيتا، اشتهرت عبر هذه القرون (بالبنود الاثني عشر).

(١٥٧) أصل البيتين باللغة الفارسية هو:

بر حـر بـكـاه چـون ره آن كـاروان فتـاد
شـور نشـور واهـمه را در كـمان فتـاد
هر جـاكـه بـود آهـويي از دشت باكـشيد
هر جـاكـه بـود طـايري از آشـيان فتـاد

في الرواية: أنه لما ضاق عليه الأمر
توقف ذو الجناح عن الحركة
ما بقي لسيد الشهداء قدرة على الجهاد
ولا ذو الجناح تمكن من الاستقامة
خلاصة الإيجاد: أخرج قدمه من الركاب
وكما أشعة الشمس سقط على الأرض
ملك عظيم الشأن هوى من على السرج
ليس خطأ إن قلت: سقط العرش على الأرض^(١٥٨)

وفي ذلك الوقت أشار إليّ أحد الأشخاص: أن أتوقف عن إنشاد الأشعار، وأنزل من المنبر، لأن بنت النبي ﷺ قد أغمي عليها، فقطعت إنشاد شعري ونزلت، وجئت فرأيت الضريح المنور لسيد الشهداء ﷺ قد انفتح، وخرج شخص جليل القدر، وبدنه مليء بجروح لا تحصى، فأعطاني خلعة فاخرة، فقلت: جعلت فداك، من أنت؟ قال: «أنا الحسين». فكان إخلاص هذا الرجل في التوبة ومودة أهل البيت ﷺ سبباً رئيسياً في علو مكانته وجودة شعره، يقول أمير المؤمنين ﷺ: «الإخلاص أعلى فوز»^(١٥٩). إن هذا الرجل الظريف والشاعر المزاح اعتاد الفكاهة في إلقاء طرفه هنا وهناك وإتحاف مجالسيه بهذه الفرصة أو تلك، دون أن يتوخى التجريح والوخز في الفكاهة، إنما يتوخى الإضحاك والإمتاع، غير أن ظرفه ساقه يوماً من الأيام إلى السماجة والغلظة بلا تعمد منه لذلك، وحين أدرك خطأه ندم على ما بدر منه، ولم يكتف بالندم بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فأعلن توبته النصوح وشرع في البكاء والرتاء.. أليس الإخلاص هو الدافع الحقيقي لهذا التحول؟ أم لم ينل هذا

(١٥٨) أصل الأبيات باللغة الفارسية هو:

روايت است كه چون تنگ شد بر او ميدان
فتداد از حرکت ذو الجناح واز جـولان
نه سيد الشهداء بر جدال طاقت داشنت
نه ذو الجناح دگر تاب استقامت داشنت
كشيد با زركاب آن خلاصه ايجاد
به رنگ برتو خورشيد بر زمين افتاد
بلند مرتبه شاهي ز صدر زين افتاد
اگر غلط نكنم عرش بر زمين افتاد

(١٥٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩١.

الرجل أعلی فوز بإخلاصه فی توبته؟..

الحسين عليه السلام أتمَّ له البيت

أطلق الشيخ محمد رضا الأزري^(١٦٠) على أبي الفضل العباس عليه السلام عدة ألقاب رفيعة تنم عن صفاته النفسية الطيبة وعراقة محتده، وما اتصف به من مكارم الأخلاق، ومنها:

١. قمر بني هاشم
٢. السقاء
٣. بطل العلقمي
٤. حامل اللواء
٥. كبش الكتيبة
٦. العميد
٧. حامي الطعينة
٨. باب الحوائج
٩. المستجار

ولما أورد شاعر أهل البيت عليه السلام الشيخ محمد رضا في قصيدته هذا المقطع: يوم أبو الفضل استجار به الهدى

أخذ يتأمل، ويقول في نفسه: لعل ذلك لا يرتضيه الإمام الحسين عليه السلام، فلم يكمل البيت، فتشرف في عالم الرؤيا بالإمام الحسين عليه السلام وهو يقول له: «صحيح ما قلته، إني التجأت إلى أخي أبي الفضل العباس»، ثم إن الحسين عليه السلام أكمل المصراع الثاني بقوله:
والشمس من كدر العجاج لثامها
وفي مثل هذا الإخلاص يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا استخلص الله عبداً ألهمه الديانة»^(١٦١).

والقصيدة التي أنشأها الشيخ محمد رضا الأزري، منها:

وَهَوَى عَلَيْهِ مَا هُنَالِكَ قَائِلًا
الْيَوْمَ بَانَ عَنِ الْيَمِينِ حُسَامُهَا
الْيَوْمَ سَارَ عَنِ الْكَتَائِبِ كَبْشُهَا
الْيَوْمَ بَانَ عَنِ الْهَادَةِ إِمَامُهَا
الْيَوْمَ آلَ إِلَى التَّفَرُّقِ جَمْعًا
الْيَوْمَ حُلَّ عَنِ الْبُنُودِ نِظَامُهَا

(١٦٠) هو الشيخ محمد رضا الأزري؛ ولد في بغداد سنة (١١٦٢هـ) وتوفي فيها سنة (١٢٤٠هـ) ولم يعقب، درس العلوم العربية على أخيه الكبير الشيخ يوسف الأزري وعلى غيره من فضلاء عصره، أهم شعره في رثاء أهل البيت عليهم السلام وهو المعول عليه وبه امتاز واشتهر، وأما الباقي من شعره ففي أغراض شتى، نخب في شعره منهج المخضرمين له ديوان يشتمل على أكثر من ألف وخمسمائة بيت.

(١٦١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٣٨٠.

اليومَ خَرَّ مِنَ الْهَدَايَةِ بِدُرِّهَا
اليومَ غَبَّ عَنِ الْبِلَادِ غَمَامُهَا
اليومَ نَامَتْ أَعْيُنٌ بِكَ لَمْ تَنَمْ
وَتَسَهَّدَتْ أُخْرَى فَعَزَّ مَنَامُهَا
أَشَقِيقَ رُوحِي هَلْ تُرَاكَ عَلِمْتَ إِذْ
عُودِرْتَ وَانْتَالَتْ عَلَيْكَ لِنَامُهَا
إِنْ خَلْتَ أَطْبَقْتَ السَّمَاءَ عَلَى الثَّرَى
أَوْ دُكِدِكْتَ فَوْقَ الرُّبِيِّ أَعْلَامُهَا
لَكِنْ أَهَانَ الْخَطْبَ عِنْدِي أَنِّي
بِكَ لِاحِقُّ أَمْرًا قَضَى عَلَامُهَا

ومهما قال الشعراء والكتّاب فإنهم لا يستطيعون أن يصفوا ما ألمّ بالإمام الحسين عليه السلام من فادح الحزن، وعظيم المصاب ولا يمكنهم أن يبينوا من كل ألف جزء ولو جزءاً واحداً بعد أن وصفه أرباب (المقاتل): بأنه عندما نهض من أخيه عليه السلام، لم يتمكن أن يرفع قدميه، وقد بان عليه الانكسار، وهو الصبور الذي لا مثل له.

يد الإمام الرضا عليه السلام تصافحني

حكى عن الشيخ إبراهيم صاحب الزماني، وكان من مادحي أهل البيت عليهم السلام، ومنشدي المراثي في مصائبهم، قال: تشرفت بزيارة المشهد المقدس، وأقمت فيه مدة، حتى نفذ كل ما أملك من المال، ولا أعرف أحداً أستعين به في حلّ مشكلتي، فكتبت قصيدة في مدح الإمام الرضا عليه السلام، وفكرت في نفسي أن أذهب إلى سادن الروضة المقدسة وأقرأها عليه لأنال الصلة والهدية لأستعين بها في أمور معيشتي.

فتوجهت إلى الروضة المقدسة بتلك النية، وفي الطريق حدثت نفسي: لماذا لا أذهب إلى حضرة الإمام الرضا عليه السلام؟ ولماذا أقرأها على غيره؟ فذهبت إلى جنب الضريح، وبعد الاستغفار والدعاء وطلب الحاجة من الله تعالى، خاطبت بقصيدي الإمام الرضا عليه السلام، وطلبت منه الصلة ونيل الهدية.

فلم أرَ إلا ويد تصافحني وتضع في يدي عملة نقدية من فئة مائة ريال، وبدون إدراك للموقف، قلت: سيدي! إنها قليلة، فأعطاني مائة أخرى، ثم قلت: سيدي! إنها قليلة، فأعطاني مائة أخرى، وهكذا بقيت أكرر طلبي وهو يعطيني، حتى بلغت الصلة سبعمائة ريال، فحجلت من نفسي، فشكرته وخرجت من الحرم المطهر.

هذه الكرامة لا يحظى بها إلا المخلصون الحقيقيون الذين لا يتوجهون بحاجاتهم إلا إلى الله عزوجل ويتوسلون بأوليائه المقربين، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أول الإخلاص اليأس مما في أيدي الناس»^(١٦٢).

ومن هذا الحديث الشريف وهذه القضية ندرك أن على المؤمن في الصغيرة والكبيرة أن يضع أول توكله وأول أمله في الله عزوجل، وثاني توكله وأمله في أوليائه المقربين، الشفعاء المشفعين، الذين دلّ الله سبحانه إليهم وجعلهم حججه على عباده.

فالله جل وعلا أقرب إلى عبده من حبل الوريد، وهو يحيط به من كل ركن وصوب، ويبيده كل ما يرغب العبد ويريد، فإذا كان دعاء المؤمن خالصاً من كل كدر ومن كل شائبة،

(١٦٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٨.

وكان المؤمن يائساً مما في أيدي الناس ومن الاعتماد عليهم، كان مؤمناً حقاً، فإن الإيمان كله والإخلاص كله أن يرى المؤمن عماده وسنده وموئله في الله تعالى وفي أوليائه المقربين.

كيف ترجمت أشعاري؟

قيل: كان العلامة الأميني رحمته الله (صاحب كتاب الغدير) يتحدث على المنبر، وسط هيجان الناس وضجيجهم، بحيث أصبح عدد المستمعين الذين تجمعوا لسماع كلمته لا يحصى، لدرجة أن وسائل النقل قد توقفت عن الحركة . ذهاباً وإياباً .، وكانت الأفكار منجذبة للعلامة الأميني رحمته الله، فقام أحد المستمعين يخترق الزحام حتى أوصل نفسه إلى العلامة الأميني ليخبره: بأن أستاذاً كبيراً في جامعة الأزهر بمصر قد أعلن تشييعه نتيجة مطالعته لكتاب (الغدير)، ثم تشرف بزيارة ثامن الحجج عليه السلام، وأنشد أشعاراً عربية جميلة.

فقطع العلامة الأميني كلامه، فشكره وقال لي: قل له: أن يأتي ليقراً أشعاره من خلف المايكرفون، وكان العلامة الأميني في أعلى المنبر، والأستاذ المصري واقف على درجتين تحت المنبر، وهو يقرأ أشعاره العربية اللطيفة الرائعة في مدح الإمام الرضا عليه السلام.

فالتفت إلي العلامة الأميني وقال لي: اقرأ يا حسان أشعارك في مدح الإمام الرضا عليه السلام، وحيث لم يسبق لي أن أقرأ شعراً في مثل هذه الجموع الغفيرة، فقلت له: جعلت فداك، أنت تعرف أي أقرأ أشعاري من خلال استعانتني بالكتاب أو الدفتر، والآن ليس لي من الأشعار ما أقرأها، إلا أن العلامة الأميني لم يقتنع بما أوردته في كلامي، وكرر علي، وقال: يا حسان! أنت ضيف عزيز، فقل شعرك في مدح حضرة الرضا عليه السلام.

وفي هذا الموقف المخرج تذكرت أني كتبت أشعاراً الليلة الماضية في مدح الإمام الرضا عليه السلام إلا أنها ناقصة لم تكتمل، وكنت قد وضعتها في جيبي، فقلت: حضرة الشيخ الأميني، أما تسمح لي بقراءة الأبيات الناقصة والتي ترجمتها إلى العربية هي:

أن حاجتي كانت أن أزور بيت الله الحرام في مكة
فصارت القسمة أن أزور قبر الإمام الرضا في طوس^(١٦٣)

فلما انتهيت من قراءة أشعاري، احتضني الأستاذ المصري وقبلني، وقال: كيف يمكنك بلحظات قليلة أن تترجم أشعاري العربية المقفأة بحرف السين إلى اللغة الفارسية؟!.

(١٦٣) أصل البيت هو:

حاجتم بـود حج بيت الله قسمتم شد حرتم قبله طوس

فعلمت أن هذه معجزة من معاجز حضرة الإمام الرضا عليه السلام، لأني أنشأت أشعاري في مدح الحضرة المطهرة قبل ليلة، في نفس الليلة التي كان بها الأستاذ المصري في المشهد المقدس، وكان القافية والمعنى للقصيدتين واحد، فظن الأستاذ المصري أن أشعاره العربية ترجمتها إلى الفارسية في نفس ذلك المجلس، وهذه أيضاً كرامة للعلامة الأمين الذي أصر علي بأن أقرأ أشعاري.

الرسول ﷺ والحجة

يشاركانه في القصيدة

توفي أحد أولاد الشاعر محتشم الكاشاني، فتأثر بذلك أشد التأثر وأنشد بعض الأبيات الشعرية في رثائه، وفي إحدى الليالي تشرف في منامه برؤية الرسول الأكرم ﷺ وهو يقول له: «أنشدت مرثية في ولدك ولم تنشد مرثية في ولدي»؟!.

قال محتشم: فانتبهت من نومي، وبما أني لم أتخصص بهذا الفن . فن الشعر .، بقيت حائراً، وأقول: أني لي بمرثية ابن النبي الأكرم ﷺ، وفي الليلة الثانية عاتبني حضرة النبي ﷺ وهو يقول لي: «لَمْ تَقُلْ مرثية في مصيبة ولدي»؟!.

قلت: يا رسول الله! بما أني لم أسلك هذا الوادي . وادي الشعر- لم أجد سبيلاً لذلك. فقال ﷺ: قل: (ما ترجمته)

ما هذا الهيجان مرة أخرى قد أصاب

فانتبهت من نومي، وأخذت أنظم الشعر وجعلت هذا المصراع مطلعاً للقصيدة، فلما وصلت إلى هذا المصراع:

قلوبنا مليئة بالآلام وإن كان ذو الجلال بريئاً

توقفت عنده وقلت: كيف لي أن أكمل هذه الأبيات؟

وفي الليل تشرفت بلقاء ولي العصر ﷺ في المنام، وهو يقول لي: «لماذا لم تكمل مرثيتك؟»، قلت: في هذا المقطع وصلت إلى طريق مسدود، فقال ﷺ لي:

إن الله في قلوبنا ولكن القلوب لم تخل من

فاستيقظت من نومي، ودجت المقطعين حتى أكملت القصيدة.

كتب العلامة المدرس التبريزي في (ريحانة الأدب) قال: هذه الأبيات الإثنا عشر لمحتشم الكاشاني من زمانه وإلى عصرنا هذا لم يطوها الزمن ولم تنس، بل تتجدد كلما تجدد الزمان،

(١٦٤) أصل البيت باللغة الفارسية هو: باز این چه شورش است که درخلق عالم است

(١٦٥) أصل البيت باللغة الفارسية هو: هست از ملال گر چه بری ذات ذو الجلال.

(١٦٦) أصل البيت باللغة الفارسية هو: أو در دل آسست و هیچ دلی نیست بی ملال.

مثل أصل مصيبة الإمام الحسين عليه السلام لم تنس، بل تتجدد كل عام وكل يوم، ولكثرة تأثير هذه الأبيات في قلوب محبي أهل بيت العصمة عليهم السلام كأنما كتبت على قلوبهم بقلم حزين. ولا يستبعد أن يكون امتياز هذه الأبيات ورواجها، بسبب المقطعين اللذين أنشأهما الرسول الأكرم صلوات الله وسلامته عليه وحفيده ولي العصر عليه السلام للشاعر محتشم الكاشاني، فأصبح شعره قبساً لا تحمده السنين.

حزين في يوم عيد الغدير

نقل الفاضل الأديب السيد باقر الهندي^(١٦٧)، قال: رأيت في نامي الإمام الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام ليلة الغدير حزينا باكياً، فأقبلت إليه وسلّمت عليه وقبّلت يديه، وكأنّه يفكر، فقلت: يا سيدي! إن هذه أيام فرح وسرور بعيد الغدير، وأراك حزينا تبكي؟! فقال عليه السلام: «ذكرت أمي الزهراء وحزنها»، ثم أنشد يقول:

لَا تَرَانِي اتَّخَذْتُ لَا وَعُلَاهَا

بَعْدَ بَيْتِ الْأَحْزَانِ بَيْتِ سُرُورِ

قال: فانتبهت من نومي ونظمت قصيدة في أحوال الغدير، وذكرت الزهراء عليها السلام، وذكرت بيت النبوة عليه السلام والقصيدة هي:

كُلُّ غَدْرِ وَقَوْلٍ إِنْكَ وَزُورِ

هُوَ فَرَعٌ عَن جَحْدِ نَصِّ الْغَدِيرِ

فَتَبَصَّرُ تُبْصِرُ هُدَاكَ إِلَى الْحَا

سِقِ فَلَيْسَ الْأَعْمَى بِهِ كَالْبَصِيرِ

لَيْسَ تَعْمَى الْعُيُونُ لَكِنَّمَا تَع

مَى الْقُلُوبُ الَّتِي انْطَوَتْ فِي الصُّدُورِ

يَوْمَ أَوْحَى الْجَلِيلُ يَأْمُرُ طَه

وَهُوَ سَارٍ: أَنْ مُرَّ بِتَرْكِ الْمَسِيرِ

حُطَّ رَحْلَ السُّرَى عَلَى غَيْرِ مَاءٍ

وَكَلًّا فِي الْفَلَا وَحَرَّ الْهَجِيرِ

ثُمَّ بَلَّغَهُمْ وَإِلَّا فَمَا بَلَّ

عَتَّ وَحِيَاءً عَنِ اللَّطِيفِ الْحَبِيرِ

(١٦٧) هو السيد باقر بن محمد بن هاشم بن مير شجاع علي الرضوي الهندي النجفي عليه السلام، ولد في النجف الأشرف سنة (١٢٨٤هـ) ونشأ بها على أبيه، وسافر معه في العام (١٢٩٨هـ) إلى سامراء، وكان والده يحضر هناك بحث المجدد الشيرازي عليه السلام، فبقي معه إلى أن عاد في سنة (١٣١١هـ)، وقد أخذ مقدمات العلوم وشيئاً من الفقه والأصول على الأساتذة المشاهير، وحضر في النجف على الشيخ محمد طه نجف والميرزا إبراهيم الشيرازي المحلاني، توفي غرة محرم (١٣٢٩هـ)، له شعر كثير باللغتين الفصحى العامية وهو والد العالمين الأديبين السيد محمد صادق والسيد حسين.

أَقِمِ الْمَرْتَضَى إِمَاماً عَلَى الْخَلْفِ
 سِقِ وَنُوراً يَجْلُو دُجَى الدَّيْجُورِ
 فَرَقَى آخِذاً بِكَفِّ عَالِيٍّ
 مِنْبَراً كَانَ مِنْ حُدُوجِ وَكُورِ^(١٦٨)
 وَدَعَا وَالْمَالِ حَضُورَ جَمِيعاً
 عَيَّبَ اللَّهُ رُشْدَهُمْ مِنْ حُضُورِ
 إِنَّ هَذَا أَمِيرُكُمْ وَوَلِيُّ الْ—
 أَمْرٍ بَعْدِي وَوَارِثِي وَوَزِيرِي
 هُوَ مَوْلَى لِكُلِّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاً
 هُوَ مِنْ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ

لقد نقل السيد باقر الهندي واقعة الغدير بأسلوب أحاذ ناصع، ناقلاً إياها من النشر إلى الشعر، مؤكداً ولاية أمير المؤمنين عليه السلام التي لا فرية فيها ولا مزية، مبيناً أن أي جحد لنص الغدير هو غدر وقول إفك وزور، ثم يرسم لنا بريشة الكلمات الشعرية صورة اعتلاء رسول الله صلى الله عليه وآله منبراً نُصب له من حدوج وكور، يوم غدير خم، وكيف أخذ صلى الله عليه وآله بكف أمير المؤمنين عليه السلام وأسمع كل من كان حاضراً: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه.. اللهم وال من والاه.. وعاد من عاداه..» الحديث^(١٦٩).

(١٦٨) الحدوج: مراكب النساء التي توضع على ظهور الإبل في القوافل، والكؤور: الرجل أو هو الرجل بأداته.

(١٦٩) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٧.

أقسم عليك بحق علي عليه السلام

نقل الوالد عليه السلام (١٧٠) أنه قبل قرابة ثمانين سنة حيث كانت البنادق غير متعارفة وإنما كانت الأسلحة المستخدمة هي السيف والرمح وما أشبه ذلك، كان في أطراف النجف الأشرف بعض الحيوانات الضارية كالأسد والضبع والذئب ونحوها كانت تفترس بعض الأفراد بين الحين والآخر، ولذا كان الطريق إلى الكوفة مشياً أمراً خطراً جداً، فنقل عن أحد الروحانيين قوله: ذهبت إلى مسجد السهلة ليلاً، وبت في سطحه، والليل كان مقمراً، فسمعت صوت أسد في الصحراء فتوجهت من سطح المسجد إلى ذلك الجانب، وإذا بأسد يقبل نحو المسجد رأني ورأيته وصررت أنظر إليه حتى صعد الدرج وعندما وصل الأمر إلى تحفزه على مهاجمتي قلت له: أقسم عليك بحق علي أمير المؤمنين عليه السلام إلا ما رجعت قال: فهمهم الأسد وتوقف لفترة قصيرة ثم أخذ في الرجوع وكنت أنظر إليه حتى غاب عن عيني، فسقطت من شدة الذهول ولم أشعر إلا والشمس طالعة عليّ بعد انتصاف النهار، وبقيت بعد ذلك لعدة أشهر مريضاً من تلك الصدمة. فلولا الإخلاص في النية والدعاء لاستحالت نجاة هذا الرجل من قدره المحتوم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بالإخلاص يكون الخلاص» (١٧١).

وهكذا فإن الكل يطلب الخلاص عندما تعترض سيرته العقبات والمشاكل، وتصيبه الموموم والمنغصات، وتختلف وسائل الخلاص وفقاً لاختلاف الفكر والقدرة والعقيدة، والمؤمن لا يجد وسيلة أنجع في درء المعضلات والتخلص من مهاوي الخطأ والخطيئة، من اللوذ بملاذ الله جل وعلا، وملاذ أوليائه المطهرين عليهم السلام، ففي الاستجارة بالله وبهم ملاذ حصين من كل شدة

(١٧٠) هو آية الله العظمى الميرزا مهدي بن حبيب الله الشيرازي عليه السلام، ولد في كربلاء المقدسة عام (١٣٠٤هـ)، واشتغل في التحصيل وطلب العلوم منذ نعومة أظفاره فتتلمذ في المراحل العليا على يد نخبة من أساطين الفقه والأصول أمثال: الآخوند الخراساني والسيد اليزدي والشيخ محمد رضا الهمداني والشيخ محمد تقي الشيرازي (قائد ثورة العشرين في العراق) والميرزا النائيني (رحمهم الله جميعاً)، أصبح من مشاهير الفقهاء الذين يُشار إليهم بالبنان، اشترك في ثورة العشرين وأفتى مع مجموعة من الفقهاء إبان حركة الجيش عام (١٣٦٠هـ = ١٩٤١م) بضرورة طرد الإنجليز من العراق، وتصدى كذلك للموجة الشيوعية في الخمسينات، وتصدى للمدّ القومي في عهد عبد السلام عارف، واشترك مع آية الله العظمى السيد حسين القمي عليه السلام عام (١٣٦٠هـ) ضدّ الحكومة الإيرانية، وأصدر فتوى في ذلك الوقت أجبرت الحكومة على الرضوخ لمطالبه والسماح في ارتداء الحجاب، والمنع من الاختلاط في المدارس، ووجوب تدريس الأحكام الشرعية في المدارس، ومراعاة الموقوفات، وتحسين الوضع الاقتصادي العام.

(١٧١) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٥٩ ح ١٢٤.

ومكروه، ومتى أخلص المؤمن بالاستجارة والاستغاثة وجد في الله تعالى وفي أوليائه خير مجير
ومغيث.

اذهب إلى الهند

كان أحد طلاب العلوم الدينية في النجف الأشرف قد ابتلي بقروض كثيرة ولم يكن له سبيل لأدائها إلا بالتوسل إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالحاح، فرأى ليلاً الإمام عليه السلام وقال له: «اذهب إلى الهند قاصداً الرجل الفلاني وقل له هذا الشطر، والذي مضمونه:

لا ترفعت هذه الذرة وصارت تشع كالشمس^(١٧٢)

وقصد الهند مع مشقة السفر الطويلة حتى وصل إلى ذلك الرجل، فأنشد له هذا الشطر، ونقل له قصة قرضه ورؤياه الإمام عليه السلام في النجف الأشرف في المنام، فاستحسن الرجل شطره استحساناً كبيراً وأعطاه ما لا كثيراً وقال: إني قلت شطراً وتحيرت في الشطر الثاني وقد مرّت عليّ مدّة طويلة وأنا متحير في هذا الشطر، أما الشطر الذي قلته . مضمونه .:

لو أن أبا تراب عليه السلام نظر إلى ذرة بلطف^(١٧٣)

فتبين أن الإمام عليه السلام أكمله بشطر من عنده عليه السلام.

(١٧٢) أصل الشطر باللغة الفارسية: بآسمان رود وکار آفتاب کند.

(١٧٣) أصل الشطر باللغة الفارسية: به ذره گر نظر لطف بو تراب کند.

مسّه الإمام عليّ عليه السلام فلم يحترق!!

نقل السيد بهاء الدين علي بن السيد عبد الكريم النيلي النجفي في كتابه (الأنوار المضيئة) عن والده حكاية عجيبة، قال: إن رجلاً يقال له: محمد بن أبي أذينة كان يتولى مسجد قرية لنا تسمى (قرية نيلة) انقطع يوماً في بيته، فاستحضره فلم يتمكن من الحضور، فسألوه عن السبب، فكشف لهم عن بدنه فإذا هو إلى وسطه ما عدا جانبي وركيه إلى طرفي ركبته محترق بالنار، وقد أصابه من ذلك ألم شديد فلا يمكنه القرار، فقالوا: متى حصل ذلك لك؟ قال: اعلمو أنني رأيت في نومي كأن الساعة قد قامت والناس في هرج عظيم، وأكثرهم يساق إلى النار وأقلهم إلى الجنة، فكنت مع من سيق إلى الجنة، فانتهى بنا المسير إلى قنطرة عظيمة في العرض والطول، فقيل: هذا الصراط، فسرنا عليها فإذا هي كَلِّمًا سلكننا فيها قلَّ عرضها وزاد طولها، فلم نبرح كذلك ونحن نسير حتى صارت كحد السيف، وإذا تحتها واد عظيم أوسع ما يكون من الأودية، تجري فيه نار سوداء يتقلقل فيها جمر كرؤوس الجبال، والناس ما بين ناج وساقط، فلم أزل أميل من جهة إلى جهة، حتى انتهيت إلى قريب من آخر القنطرة، فلم أتمالك حتى سقطت من عليها، فخضت في تلك النار حتى انتهيت إلى الجرف، فكنت كلما أتشبت بشيء لم يتماسك في يدي، والنار تحدرني بقوة جريانها، وأنا أستغيث وقد انذهلت وطار عقلي وذهب لبي، فألهمت فقلت: يا علي بن أبي طالب، فنظرت فإذا رجل واقف على شفير الوادي، فوق في روعي أنه الإمام علي عليه السلام، فقلت: يا سيدي يا أمير المؤمنين، فقال: «هات يدك»، فمددت يدي، فقبض عليها وجذبني، وألقاني على الجرف، ثم أماط النار عن وركي بيده الشريفة، فانتبهت مرعوباً وأنا كما ترون، لم يسلم من النار إلا ما مسه الإمام علي عليه السلام.

نعم إن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يوصي المؤمنين قائلاً: «عليكم بإخلاص الإيمان فإنه السبيل إلى الجنة والنجاة من النار»^(١٧٤).

(١٧٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٣ ح ١٣٤٣.

الرؤيا الصادقة

نقل لي شخص سعودي عندما اندلعت الاضطرابات والمظاهرات في السعودية سنة (١٤٠٠ هـ) قائلاً: ذهبت إلى مدينة كربلاء المقدسة للزيارة وكان ولدي الكبير باقياً في السعودية، فاتخذت مكاناً في أحد الفنادق حتى إذا انتصف الليل قامت زوجتي وأخذت تهلهل بصوت عالٍ، وكلما حاولت إسكاتها لم أنجح، مما دفعني أن أعتقد بإصابتها بالجنون، وبعد أن هدأت واستقرت قالت: إن ولدي قد قتل في السعودية ثم أخذت في بكاء شديد ولما سألتها عن دليل قولها، قالت: رأيت ولدي قد دخل حرم الإمام الحسين عليه السلام، واستقبله الإمام بكل حفاوة وهذا لا يكون إلا لأنه مقتول، وفي اليوم التالي تلقيت مكالمة هاتفية من القطيف وتم إخباري أن ولدي قتل في المظاهرات، حيث أطلقت الحكومة أسلحتها فسقط جماعة ومنهم ولدي. يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «ما ارتاب مخلص ولا شك موقن»^(١٧٥)، فإن إخلاص زوجة هذا الرجل جعلها لا تشك ولا ترتاب في حقيقة رؤياها.

(١٧٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٤٥.

الطفل الأعمى وبركات زينب عليها السلام

كان أحد الأطفال أعمى وهو في سن السادسة من العمر يرتاد المجالس الحسينية بصحبة خاله، وفي أحد أيام محرم الحرام كان المجلس الحسيني منعقداً في دار خاله، وكان الجو حاراً فأرادوا أن يوزعوا بعض المرطبات، فأصر الطفل الأعمى أن يقوم هو بتوزيعها بمساعدة شخص آخر، وبينما كانا يوزعان تلك المرطبات وصل الخطيب إلى ذكر مصيبة أم المصائب الحوراء زينب عليها السلام، فتأثر هذا الطفل كثيراً وبكى بحرقه شديدة حتى أغمي عليه، فرأى وهو في تلك الحال أن السيدة زينب عليها السلام رفعت يدها المباركة ومست عينيه الاثنتين وقالت: «شفيت تماماً ولن تمرض عينك بعد اليوم»، وحين صحا من الغيبوبة وجد أن بصره قد رد إليه ببركة هذه السيدة العظيمة عليها السلام.

وحين كبر هذا الطفل اشتغل في أحد المختبرات الطبية، وفي أحد الأيام كان يقوم بعمله المختبري وإلى جانبه إناء مملوء بمادة الكحول وهو لا يدري به، فأشعل عود كبريت فانفجر الإناء وانهمر عليه الكحول المحترق فأحرق جسمه كله إلا عينيه اللتين لامستهما يد الحوراء زينب عليها السلام.

أصعده جبرائيل وأنزلناه نحن

كان الوالد ﷺ في أيام شبابه في سامراء مع الذين يعملون في خدمة مآتم الإمام الحسين ﷺ فيغلفون جدران الحسينية بأقمشة سوداء وغير ذلك، قال ﷺ: ذات يوم ارتقيت السلم لأغلف الحسينية فسقطت أرضاً لكن لم يصبني شيء وفي الوقت نفسه الذي سقطت فيه رأت والدي في المنام كما حدثتنا بعد ذلك أن الخمسة الطيبة أصحاب الكساء ﷺ قالوا لها: إن ولدك لا بأس عليه فقد أصعده جبرائيل ﷺ وأنزلناه نحن إلى الأرض، ونقل لي الوالد ﷺ أنه لم يصبه أذى مما سبب الاستغراب.

ولمثل هذه الكرامات الفريدة يقود الإخلاص النابض من الأعماق، يقول أمير المؤمنين ﷺ: «آفة العمل ترك الإخلاص»^(١٧٦). وكان أمير المؤمنين ﷺ صادقاً في هذا القول وفي كل ما قاله، فإن لكل شيء في هذه الحياة آفة تكدر صفاءه وتنقص كماله، آفة الغنى البطر، وآفة الحلم الجزع، وآفة الصبر الاستسلام، وكذلك العمل تعتره آفة عدم الإخلاص.

(١٧٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٢.

كنا حاضرين عند منبر النبي ﷺ

نقل السيد الوالد رحمه الله عن الحاج ميرزا حسين النوري رحمه الله (١٧٧).

قال: كنت أنا في بلدة (نور) في إيران أكتب الأحاديث، وكنت خرج كل ليلة إلى منطقة مزروعة هناك، وأكتب في غرفة مهيأة للزّرع وكنت أغلق الباب على نفسي وأجلس للكتابة، وفي ذات ليلة وأنا أكتب رأيت أن الباب انفتح تلقائياً، ودخل نفران يرتديان البياض لا يشبهان الإنسان فسلما وقالوا لي: ماذا تكتب؟

قلت: أكتب الأحاديث.

قالا: وما هو الحديث الذي تكتبه الآن؟

قلت: قصة الغدير وخطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع.

قالا: اقرأ.

فأخذت أقرأ حديث الغدير فصححا بعض الكلمات فيها قائلين: نحن كنا حاضرين زمن حدوث القصة عند منبر النبي الأعظم ﷺ وسمعناه هكذا يقول.

قال الوالد رحمه الله: وذكر الحاج النوري النسخة التي ذكرها في حاشية الكتاب، وأقسم أنه سمع الخطبة ممن سمعها عن رسول الله ﷺ مباشرة.

قال رسول الله ﷺ: «ما أخلص عبد لله عزوجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» (١٧٨).

أجل، ليس هناك مسافة ورفق بين الحكمة والإخلاص، فالحكيم مخلص ولكن ليس كل مخلص حكيماً، لأن الحكمة شرطها الإخلاص، ولأن العلاقة بين القلب واللسان، واليد والسلوك، والفكر والعمل، علاقة حميمية لا تنفصل، وبغير وجود هذه العلاقة يظهر الرياء

(١٧٧) الميرزا حسين ابن الشيخ محمد تقي بن محمد ملي أو علي النوري الطبرسي رحمه الله، ولد في ١٨ شوال سنة (١٢٥٤هـ) في قرية (يالو) من قرى نور إحدى كور طبرستان، توفي في النجف ليلة الأربعاء ٢٧ جمادى الآخرة في سنة (١٣٢٠هـ) ودفن في الصحن الشريف؛ وهو صاحب كتاب المستدرك، كان عالماً محدثاً، متبحراً في علمي الحديث والرجال عارفاً بالسير والتاريخ، وكان زاهداً عابداً لم تفته صلاة الليل وكان وحيد عصره، أنعم الله عليه بملازمة العالم الجليل الفقيه الزاهد الورع المولى محمد علي ابن آغا زين العابدين رضا المحلاقي.

(١٧٨) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٤٢ ح ١٠.

والانفصام، وتصبح الحكمة فذلكة فارغة.

وبعبارة أخرى أن الحكمة حين تفقد الإخلاص فإنها تفقد جانبها العملي، وتصبح مجرد

أفاويل، ومهما كان طلاؤها مزخرفاً وجميلاً فلن يجعل منها حقيقة أبداً.

رؤية الجن

نقل عن المرجوم السيد محمد الصدر رحمته الله الذي كان يسكن كربلاء المقدسة، وهو من رجال الدين الأخيار، قال: كنت أحضر دروس الحاج ميرزا حسين الحاج ميرزا خليل^(١٧٩) وفي يوم من الأيام جاء رجل وقال: إن بيتي تسكنه الجن، وجئت إليكم لأطلب منكم دعاء حتى أكفى هذه المؤونة، فقال له الحاج ميرزا حسين: اذهب إلى سطح دارك أول الصباح، وتوجه إلى القبلة وقل: يا أيها الجن، الحاج ميرزا حسين يأمركم أن تكفوا عني، فذهب الرجل وفعل ما أمره.

قال السيد الصدر: وكنت قد سمعت أن الحاج له تسخير الجن فسألته: كيف قلت هذا، هل لك تسخير الجن؟

قال: لا ليس لي تسخير الجن وإنما حدثت لي قصة وهي أنني كنت أذهب إلى مسجد السهلة^(١٨٠) في الليالي السالفة وفي سرداب هناك كنت أصلي وأقرأ الدعاء وذات ليلة جاءني شخص في الظلام وجلس على سجادتي، ولما أتممت الصلاة قلت له من أنت؟ قال: أنا جني من مقلديك جئت إليك لأنظر هل عندك أمر فأتبعه. فقلت له: هل في الجن مقلدون؟

قال: نعم، الجن كالإنس فيهم كفار وفيهم مسلمون^(١٨١)، ومن المسلمين أتباع العامة وفيهم شيعة، والشيعية فيهم مقلدون وفيهم غير ذلك ممن لا تقليد لهم كفسقة الإنس وأنا من المقلدين لك المتدينين. فقلت: لا.. لا حاجة لي.

قال الجني: نعم بعض الجن المعادون للإنسان يرمون دورهم بالحصى وإذا حدث هذا الشيء لإنسان فقل له: اذهب إلى سطح الدار في وقت الصباح وقل: أيها الجن كفوا عن

(١٧٩) من أساتذة الشيخ محمد حسن المعروف بـ (الشيخ أغا بزرگ الطهراني رحمته الله).

(١٨٠) راجع من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٣٢ ح ٦٩٧، وفيه: أما مسجد السهلة فقد قال فيه الصادق عليه السلام: «لو استجار عمي زيد به لأجاره الله سنة، ذلك موضع بيت إدريس عليه السلام الذي كان يخيط فيه، وهو الموضع الذي خرج منه إبراهيم عليه السلام إلى العمالق، وهو الموضع الذي خرج منه داود عليه السلام إلى جالوت، وتحت صخرة خضراء فيها صورة وجه كل نبي خلقه الله عز وجل، ومن تحته أخذت طينة كل نبي، وهو موضع الراكب»، فقيل له: وما الراكب؟ فقال: «الخضر عليه السلام».

(١٨١) قال سبحانه وتعالى على لسان الجن: ﴿وَإِنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ سورة الجن: ١٤.

هذا البيت، فإن لم يكفوا فنحن لهم بالمرصاد.
قال الشيخ: وقد جريت هذا الشيء مراراً فظهرت صحة ما قاله ذلك الجني.

رأيتك وسمعتك تنشد القصيدة

نُقل عن المرحوم آية الله المرعشي النجفي رحمته الله^(١٨٢)، إنه قال: توسلت في إحدى الليالي أن أرى في منامي أحد أولياء الله، فرأيت في تلك الليلة في عالم الرؤيا كأني جالس في مسجد الكوفة، بحضور أمير المؤمنين عليه السلام وجمع من الناس كانوا حاضرين، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أتتوني بشعراء أهل بيتنا».

فرأيت قد جيء إليه ببعض شعراء العرب، ثم قال عليه السلام: «أتتوني بشعراء الفرس»، فرأيت قد جيء إليه بمحتشم الكاشاني وعدد من شعراء الفرس. فقال عليه السلام: «جيئوني بشهريار»، فجاء شهريار^(١٨٣)، فوجه عليه السلام خطابه إليه، قائلاً: «اقرأ أشعارك»، فقرأ شهريار أبياتاً هذه ترجمتها:

يا علي يا ملك الرحمة، أيّ آية من آيات الله أنت؟
وقد ألقيت على الكل أجنحة الرحمة، فالكل استظل بظلك
أيها القلب إذ هُديت لمعرفة الله، فتراها في وجه علي
فو الله إنني عرفت الله بعليّ وهو سبب هدايتي إلى الله^(١٨٤)

قال السيد المرعشي رحمته الله: فلما انتهى شهريار من إلقاء شعره، استيقظت من نومي، وبما أني لم أر شهريار، سألت صباح ذلك اليوم عنه، وقلت من هو شهريار؟.

(١٨٢) السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، ولد في النجف الأشرف عام (١٣١٥هـ)، والده العلامة السيد محمود شمس الدين المرعشي من علماء النجف، وحده سيد الحكماء، درس في النجف الأشرف ونال درجة الاجتهاد مبكراً، انتقل إلى قم المقدسة ليكون واحداً من أعظم مدرسي حوزة قم الكبرى، له رسالة عملية مطبوعة سنة (١٣٧٠هـ) عنوانها (ذخيرة المعاد)، له مشاريع إسلامية اجتماعية وثقافية كبرى، أهمها مكتبته العامة في قم المشرفة والتي تعد من المكتبات العالمية الكبرى لما تحويه من نفائس المخطوطات والكتب، توفي رحمته الله سنة (١٤١١هـ)، ودفن بجوار مكتبته العامة بمدينة قم المقدسة.

(١٨٣) أحد شعراء الأتراك في إيران، وقد نظم أشعار عديدة بالفارسية والتركية.

(١٨٤) أصل البيتين باللغة الفارسية هو:

علي إي همای رحمت تو چه آيتي خدا را
که به ما سوا فکندي همه سایه ما را
دل اکر خدا شناسي همه در رخ علي بين
به علي شناختم من به خدا قسم خدا را

قالوا: شاعر يسكن تبريز، قلت: وجهوا له الدعوة من قبلي أن يأتينا إلى قم المقدسة.
ولم تمض أيام إلا وشهريار قد قدم إلينا، فرأيتَه نفس الشخص الذي أبصرته في منامي
وهو يلقي أشعاره بحضرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فسألت منه: متى نظمت هذا الشعر:

يا علي يا ملك الرحمة، أي آية من آيات الله أنت؟

فتعجب شهريار من سؤالي هذا، وقال: من أين عرفت أني نظمت هذا الشعر؟! فإني لم
أعط هذا الشعر لأحد، ولم يسبق لي أن تحدثت مع أحد بشأنه، ولم يعلم به أحد قط.
فقال له السيد المرعشي رحمته الله: رأيتك وسمعت هذا الشعر منك في المنام، وقد أنشدته
بحضرة أمير المؤمنين عليه السلام، فتغير وجه شهريار وأخذته الدهشة والاستغراب وقال: أنا نظمت
هذه الأشعار في الليلة الفلانية، فلما عين السيد المرعشي رحمته الله تاريخ وساعة إنشاد الشعر
في المنام، ظهر أن ذلك كان مطابقاً للتاريخ الذي انتهى فيه نظم آخر بيت شعري من تلك
القصيدة من قبل شهريار.. انتهى كلام السيد المرعشي رحمته الله.

وعرف فيما بعد هذا اللقاء أن شهريار أخذ ينشر شعره، فتشرف بزيارة مدينة النجف
الأشرف سنة (١٣٥٧هـ)، وقد شوهدت هذه الأشعار قد كتبت بخط جميل ووضعت في
إطار، وعلقت على الضريح المطهر لأمير المؤمنين عليه السلام.

يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «على التواخي في الله تخلص المحبة»^(١٨٥).

(١٨٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٣ ح ٩٧٠٠.

آيات قرآنية في الإخلاص

* ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٨٦﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٨٦﴾.

* ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٨٧﴾.

* ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿١٨٨﴾.

* ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿١٨٩﴾.

* ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ﴿١٩٠﴾.

* ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿١٩١﴾.

* ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿١٩٢﴾.

* ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿١٩٣﴾.

* ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ﴿١٩٤﴾.

(١٨٦) سورة البقرة: ٩٤ و ٩٥.

(١٨٧) سورة النساء: ١٤٦.

(١٨٨) سورة يوسف: ٢٤.

(١٨٩) سورة الحجر: ٤٠، وسورة ص: ٨٣.

(١٩٠) سورة مريم: ٥١.

(١٩١) سورة الصافات: ٤٠ و ٧٤ و ١٢٨ و ١٦٠.

(١٩٢) سورة الزمر: ٢.

(١٩٣) سورة الزمر: ١١.

(١٩٤) سورة الزمر: ١٤.

* ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٩٥).

* ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩٦).

* ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (١٩٧).

* ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (١٩٨).

* ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (١٩٩).

* ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ (٢٠٠).

* ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (٢٠١).

وفي هذه الآيات البينات وغيرها تأكيد على الإخلاص، وأمر من أوامر الله التي يجب اتباعها.

ولو لم يكن الإخلاص من الضرورات في حياة الإنسان لما أمر الله تعالى به، إن هذا التأكيد على الإخلاص في آيات كثيرة يدل دلالة قاطعة أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل عمل المؤمن من صلاة أو صيام أو زكاة أو حج أو جهاد وغيرها من الأعمال إن لم يكن المؤمن يؤديه لله وحده، مخلصاً له فيه كل الإخلاص، في السر والعلانية، ودون أن تشوب إخلاصه أي شائبة من شوائب الدنيا.

(١٩٥) سورة غافر: ١٤.

(١٩٦) سورة غافر: ٦٥.

(١٩٧) سورة البينة: ٥.

(١٩٨) سورة البقرة: ١٣٩.

(١٩٩) سورة الأعراف: ٢٩.

(٢٠٠) سورة ص: ٤٦.

(٢٠١) سورة الزمر: ٣.

روايات في الإخلاص

* عن النبي المصطفى ﷺ قال: «قال عزوجل: لا إله إلا الله اسمي، من قاله مخلصاً من قلبه دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي» (٢٠٢).

* وعن أبي ذر الغفاري قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ في المسجد إذ أقبل عليّ ﷺ فلما رآه مقبلاً قال ﷺ: «يا أبا ذر من هذا المقبل؟» فقلت: علي يا رسول الله، فقال: «يا أبا ذر أتجبه؟» فقلت: إي والله يا رسول الله إني لأحبه وأحب من يحبه، فقال ﷺ: «يا أبا ذر أحب علياً وأحب من أحبه فإن الحجاب الذي بين العبد وبين الله تعالى حبُّ علي بن أبي طالب، يا أبا ذر أحبَّ علياً مخلصاً فما من امرئ أحب علياً مخلصاً وسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه ولا دعا الله إلا لبَّاه»، فقلت: يا رسول الله إني لأجد حب علي بن أبي طالب على كبدي كبارد الماء أو كعسل النحل أو كآية من كتاب الله أتلوها وهو عندي أحلى من العسل، فقال رسول الله ﷺ: «نحن الشجرة الطيبة والعروة الوثقى ومحبونا ورقها فمن أراد الدخول إلى الجنة فليستمسك بغصن من أغصانها» (٢٠٣).

* وعن أبي ذر الغفاري قال: رأيت رسول الله ﷺ يُقبَّل الحسن والحسين ﷺ وهو يقول: «من أحبَّ الحسن والحسين ﷺ وذريتهما مخلصاً لم تلمح النار وجهه ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج، إلا يكون ذنبه ذنباً يخرج من الإيمان» (٢٠٤).

* وعنه ﷺ قال: «إن لكلِّ حقِّ حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحبَّ أن يحمَدَ على شيء من عمل الله» (٢٠٥).

* وعنه ﷺ قال: «مَنْ ذَكَرَ الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشُغلهم بما هم فيه كتب الله له ألف حسنة، ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر» (٢٠٦).

* وعنه ﷺ: «العلماء كلهم هلكي إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكي إلا

(٢٠٢) مستدرك الوسائل: ج ٥ ص ٣٦١ ح ٦٠٨٧.

(٢٠٣) أعلام الدين: ص ١٣٦.

(٢٠٤) كامل الزيارات: ص ٥١ ح ٤.

(٢٠٥) مستدرك الوسائل: ج ١ ص ١٠٠ ح ٨٩.

(٢٠٦) عدة الداعي: ص ٢٥٧.

المخلصون، والمخلصون على خطر»^(٢٠٧).

* عن حذيفة بن اليمان قال سألت رسول الله ﷺ عن الإخلاص، فقال: «سألته عن جبرئيل فقال: سألته عن الله تعالى فقال: الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي»^(٢٠٨).

* عن سيدة النساء عليها السلام قالت: «من أصدد إلى الله خالص عبادته أهبط الله عزوجل إليه أفضل مصلحته»^(٢٠٩).

* عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «المؤمن قريب أمره، بعيد همه، كثير صمته، خالص عمله»^(٢١٠).

* قال عليه السلام: «إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله، فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة»^(٢١١).

* قال عليه السلام: «هدي من أخلص إيمانه»^(٢١٢).

* قال عليه السلام: «العمل كله هباء إلا ما أخلص فيه»^(٢١٣).

* قال عليه السلام: «من رغب فيما عند الله أخلص عمله»^(٢١٤).

* قال عليه السلام: «العاقل إذا علم عمل، وإذا عمل أخلص، وإذا أخلص اعتزل»^(٢١٥).

* قال عليه السلام: «من أخلص العمل لم يعدم الأمل»^(٢١٦).

* قال عليه السلام: «طوبى لمن بادر أجله، وأخلص عمله»^(٢١٧).

* قال عليه السلام: «السعيد من أخلص الطاعة»^(٢١٨).

* قال عليه السلام: «فاز بالسعادة من أخلص العبادة»^(٢١٩).

(٢٠٧) مجموعة ورام: ج ٢ ص ١١٨.

(٢٠٨) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٤٩ ح ٢٤٤.

(٢٠٩) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٤٩.

(٢١٠) غرر الحكم: ص ٩٠ ح ١٥٣٦.

(٢١١) نهج البلاغة: ص ١٦٣ من خطبة له عليه السلام برقم: ١١٠.

(٢١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٩ ح ١٥٠٦.

(٢١٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٨٩٦.

(٢١٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٧.

(٢١٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٤ ح ٤٦٥.

(٢١٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٢٠.

(٢١٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٦٢ ح ٣١٣٤.

(٢١٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٦٧ ح ٣٢٧٠.

- * قال عليه السلام: «أخلص تنل»^(٢٢٠).
- * قال عليه السلام: «من أخلص النية تنزه عن الدنية»^(٢٢١).
- * قال عليه السلام: «من أخلص بلغ الآمال»^(٢٢٢).
- * قال عليه السلام: «من أخلص لله استظهر لمعاشه ومعهاده»^(٢٢٣).
- * قال عليه السلام: «أخلص لله عملك وعلمك، وحبك وبغضك، وأخذك وتركك، وكلامك وصمتك»^(٢٢٤).
- * قال عليه السلام: «من كمال العمل الإخلاص فيه»^(٢٢٥).
- * قال عليه السلام: «بالإخلاص ترفع الأعمال»^(٢٢٦).
- * قال عليه السلام: «قدموا خيرا تغنموا وأخلصوا أعمالكم تسعدوا»^(٢٢٧).
- * قال عليه السلام: «أين الذين أخلصوا أعمالهم لله وطهروا قلوبهم بمواضع ذكر الله»^(٢٢٨).
- * قال عليه السلام: «اصدقوا في أقوالكم وأخلصوا في أعمالكم وتزكوا بالورع»^(٢٢٩).
- * قال عليه السلام: «إذا استخلص الله عبداً ألهمه الديانة»^(٢٣٠).
- * قال عليه السلام: «الإخلاص أعلى الإيمان»^(٢٣١).
- * قال عليه السلام: «جماع الدين في إخلاص العمل، وتقصير الأمل، وبذل الإحسان، والكف عن القبيح»^(٢٣٢).
- * قال عليه السلام: «ثلاث هن كمال الدين: الإخلاص، واليقين، والتقنع»^(٢٣٣).

(٢١٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩٠٩.

(٢٢٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١١.

(٢٢١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٦.

(٢٢٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٧.

(٢٢٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٩.

(٢٢٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٩٠٠.

(٢٢٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٩.

(٢٢٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١١.

(٢٢٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٨٩٥.

(٢٢٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٨٩٨.

(٢٢٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٧ ح ٤٢٨٥.

(٢٣٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٣٨٠.

(٢٣١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٣ ح ١٣٤١.

(٢٣٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٣٩٦.

(٢٣٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٣٩٨.

- * قال عليه السلام: «الإخلاص غاية الدين»^(٢٣٤).
- * قال عليه السلام: «اعلم أن أول الدين التسليم، وآخره الإخلاص»^(٢٣٥).
- * قال عليه السلام: «آفة العمل ترك الإخلاص»^(٢٣٦).
- * قال عليه السلام: «خير العمل ما صحبه الإخلاص»^(٢٣٧).
- * قال عليه السلام: «من كمال العمل الإخلاص فيه»^(٢٣٨).
- * قال عليه السلام: «ملاك العمل الإخلاص فيه»^(٢٣٩).
- * قال عليه السلام: «صفتان لا يقبل الله سبحانه الأعمال إلا بهما: التقى، والإخلاص»^(٢٤٠).

- * قال عليه السلام: «الإخلاص أعلى فوز»^(٢٤١).
- * قال عليه السلام: «من لم يصحب الإخلاص عمله لم يقبل»^(٢٤٢).
- * قال عليه السلام: «الإخلاص شيمة أفاضل الناس»^(٢٤٣).
- * قال عليه السلام: «الإخلاص عبادة المقربين (المتقين)»^(٢٤٤).
- * قال عليه السلام: «الإخلاص أشرف نهاية»^(٢٤٥).
- * قال عليه السلام: «الإخلاص ثمرة العبادة»^(٢٤٦).
- * قال عليه السلام: «الإخلاص ملاك العبادة»^(٢٤٧).
- * قال عليه السلام: «مع الإخلاص ترفع الأعمال»^(٢٤٨).

(٢٣٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٣ ح ١٣٤١.

(٢٣٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٤٠٣.

(٢٣٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٢.

(٢٣٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٤.

(٢٣٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٩.

(٢٣٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١٠.

(٢٤٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١٤.

(٢٤١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩١.

(٢٤٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١٦.

(٢٤٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٢.

(٢٤٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٣.

(٢٤٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٤.

(٢٤٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٥.

(٢٤٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٦.

- * قال عليه السلام: «الإخلاص ثمرة اليقين»^(٢٤٩).
- * قال عليه السلام: «الإخلاص غاية»^(٢٥٠).
- * قال عليه السلام: «الإخلاص خطر عظيم حتى ينظر بماذا يجتم له»^(٢٥١).
- * قال عليه السلام: «الزم الإخلاص في السر والعلانية، والحشية في الغيب والشهادة، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الرضا والسخط»^(٢٥٢).
- * قال عليه السلام: «عليكم بصدق الإخلاص، وحسن اليقين، فإنهما أفضل عبادة المقربين»^(٢٥٣).
- * قال عليه السلام: «غاية اليقين الإخلاص»^(٢٥٤).
- * قال عليه السلام: «فضيلة العمل الإخلاص فيه»^(٢٥٥).
- * قال عليه السلام: «عند تحقق الإخلاص تستنير البصائر»^(٢٥٦).
- * قال عليه السلام: «أول الإخلاص اليأس مما في أيدي الناس»^(٢٥٧).
- * قال عليه السلام: «كيف يستطيع الإخلاص من يغلبه الهوى»^(٢٥٨).
- * قال عليه السلام: «العبادة الخالصة أن لا يرجو الرجل إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه»^(٢٥٩).
- * قال عليه السلام: «سادة أهل الجنة المخلصون»^(٢٦٠).
- * قال عليه السلام: «ملوك الجنة الأتقياء والمخلصون»^(٢٦١).
- * قال عليه السلام: «التفكر في ملكوت السماوات والأرض عبادة المخلصين»^(٢٦٢).

- (٢٤٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١٢.
- (٢٤٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٧.
- (٢٥٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٨.
- (٢٥١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٩.
- (٢٥٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٩٠١.
- (٢٥٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩٠٦.
- (٢٥٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩٠٧.
- (٢٥٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩٠٨.
- (٢٥٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٤.
- (٢٥٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٨.
- (٢٥٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٦ ح ٧٠٠٥.
- (٢٥٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٩ ح ٣٩٤٥.
- (٢٦٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٩٠٤.
- (٢٦١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٠.

- * قال عيسى عليه السلام: «عليك بالورع فإنه عون الدين، وشيمة المخلصين»^(٢٦٣).
- * قال عيسى عليه السلام: «عليكم بإخلاص الإيمان فإنه السبيل إلى الجنة، والنجاة من النار»^(٢٦٤).
- * قال عيسى عليه السلام: «تقرب العبد إلى الله سبحانه بإخلاص نيته»^(٢٦٥).
- * قال عيسى عليه السلام: «لا يدرك أحد رفعة الآخرة إلا بإخلاص العمل، وتقصير الأمل، ولزوم التقوى»^(٢٦٦).
- * قال عيسى عليه السلام: «الزهد سجية المخلصين»^(٢٦٧).
- * قال عيسى عليه السلام: «عليك بإخلاص الدعاء فإنه أخلق بالإجابة»^(٢٦٨).
- * قال عيسى عليه السلام: «بالإخلاص يكون الخلاص»^(٢٦٩).
- * قال عيسى عليه السلام: «بالإخلاص يتفاضل العمال»^(٢٧٠).
- * قال عيسى عليه السلام: «قلل الآمال تخلص لك الأعمال»^(٢٧١).
- * قال عيسى عليه السلام: «إن تخلص تفز»^(٢٧٢).
- * قال عيسى عليه السلام: «على التواخي في الله تخلص المحبة»^(٢٧٣).
- * قال عيسى عليه السلام: «على قدر قوة الدين يكون خلوص النية»^(٢٧٤).
- * قال عيسى عليه السلام: «ما ارتاب مخلص، ولا شك موقن»^(٢٧٥).
- * قال عيسى عليه السلام: «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم

(٢٦٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٦ ح ٥٤٥.

(٢٦٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٧١ ح ٥٩١٥.

(٢٦٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٣ ح ١٣٤٣.

(٢٦٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٣ ح ١٦١٧.

(٢٦٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٢١.

(٢٦٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٧٥ ح ٦٠٣٢.

(٢٦٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٣ ح ٣٧٥٥.

(٢٦٩) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٥٩ ح ١٢٤.

(٢٧٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٢.

(٢٧١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٦.

(٢٧٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٩٠٢.

(٢٧٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٣ ح ٩٧٠٠.

(٢٧٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٣ ح ١٦١٩.

(٢٧٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٤٥.

ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يجزن صدره بما أعطي غيره»^(٢٧٦).

* كان من دعائه عليه السلام: «اللهم إني أخلصت بانقطاعي إليك، وأقبلت بكلي عليك، وصرفت وجهي عمن يحتاج إلى رفقك، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك، ورأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه من رأيه وضلة من عقله، فكم قد رأيت يا إلهي من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا، وراموا الثروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فاتضعوا»^(٢٧٧).

* عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أخلص عبد لله عزوجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(٢٧٨).

* عنه عليه السلام قال: «لا صلاة إلا بإسباغ الوضوء، وإحضار النية، وخلوص اليقين، وإفراغ القلب، وترك الأشغال، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾»^(٢٧٩) (٢٨٠).

* قال الصادق عليه السلام: «يا إسحاق صانع المنافق بلسانك، وأخلص ودك للمؤمن، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته»^(٢٨١).

* عنه عليه السلام قال: «قال لقمان: يا بني أخلص طاعة الله حتى لا تخالطها بشيء من المعاصي ثم زين الطاعة باتباع أهل الحق فإن طاعتهم متصلة بطاعة الله تعالى»^(٢٨٢).

* عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن لله عزوجل عبادةً في الأرض من خالص عبادته، ما ينزل من السماء تحفة إلى الأرض إلا صرفها عنهم إلى غيرهم، ولا بلية إلا صرفها إليهم»^(٢٨٣).

* عنه عليه السلام قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، وإخلاصه أن يحجزه لا إله إلا الله عما حرم الله»^(٢٨٤).

(٢٧٦) الكافي: ج ٢ ص ١٦ ح ٣.

(٢٧٧) الصحيفة السجادية: ص ١٣٤، الدعاء: ٢٨.

(٢٧٨) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٤٢ ح ١٠.

(٢٧٩) سورة الشرح: ٧ و ٨.

(٢٨٠) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ١٠٦ ح ٤٢٥٠.

(٢٨١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٤ ح ٥٨٧٢.

(٢٨٢) القصص للراوندي: ص ١٩٦ ح ٢٤٦.

(٢٨٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٣ ح ٥.

(٢٨٤) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٢٠٣ ح ١٢.

* عنه عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾^(٢٨٥)، قال عليه السلام: «خالصاً مخلصاً لا يشوبه شيء»^(٢٨٦).

* عن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال: «خياركم سمحاًؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الإيمان البر بالإخوان، والسعي في حوائجهم، وإن البار بالإخوان ليحبه الرحمن، وفي ذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران، ودخول الجنان، يا جميل أخبر بهذا غرر أصحابك»، قلت: جعلت فداك من غرر أصحابي؟ قال عليه السلام: «هم البارون بالإخوان في العسر واليسر»، ثم قال: «يا جميل أما إن صاحب الكثير يهون عليه ذلك، وقد مدح الله عزوجل في ذلك صاحب القليل فقال في كتابه: ﴿يُؤَثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢٨٧)»^(٢٨٨).

* قال الصادق عليه السلام: «لا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون، لأنه إذا لم يكن هذا المعنى يكون غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢٨٩) وقال: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾^(٢٩٠)»^(٢٩١).

* قال عليه السلام: «الإخلاص يجمع فواضل الأعمال، وهو معنى مفتاحه القبول، وتوقيعه الرضا، فمن تقبل الله منه ورضى عنه فهو المخلص وإن قل عمله، ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وإن كثر عمله، اعتباراً بآدم عليه السلام وإبليس عليه اللعنة، وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل محاب، مع إصابة كل حركة وسكون، والمخلص ذائب روحه، باذل مهجته، في تقويم ما به العلم والأعمال والعامل والمعمول بالعمل، لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل، وإذا فاته ذلك فاتته الكل، وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد، كما قال الأول: هلك العاملون إلا العابدون، وهلك العابدون إلا العالمون، وهلك العالمون إلا الصادقون، وهلك الصادقون إلا المخلصون، وهلك المخلصون إلا المتقون، وهلك المتقون إلا الموقنون،

(٢٨٥) سورة آل عمران: ٦٧.

(٢٨٦) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٤٤ ح ٧.

(٢٨٧) سورة الحشر: ٩.

(٢٨٨) الكافي: ج ٤ ص ٤١ ح ١٥.

(٢٨٩) سورة الفرقان: ٤٤.

(٢٩٠) سورة النحل: ١٠٨.

(٢٩١) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ٩٩ ح ٨٦.

وإن الموقنين لعلی خطر عظیم، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٢٩٢)، وأدنى حد الإخلاص بذل العبد طاقته، ثم لا يجعل لعمله عند الله قدراً، فيوجب به على ربه مكافأة لعلمه بعمله أنه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز، وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة^(٢٩٣).

* عنه عليه السلام قال: «قال الله تعالى: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً»^(٢٩٤).

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما بين الحق والباطل إلا قلة عقل»، قيل: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال عليه السلام: «إن العبد ليعمل العمل الذي هو لله رضا فيريد به غير الله، فلو أنه أخلص لله لجاءه الذي يريد في أسرع من ذلك»^(٢٩٥).

* كان من دعائه عليه السلام: «واجعلني ممن يدعوك مخلصاً في الرخاء دعاء المخلصين المضطرين لك في الدعاء، إنك حميد مجيد»^(٢٩٦).

* عن الرضا عن أبيه عن آباءه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الدنيا كلها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كله حجة إلا ما عمل به، والعمل كله رياء إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يحتتم له»^(٢٩٧).

* عن الإمام العسكري عليه السلام قال: «لو جعلت الدنيا كلها لقمة واحدة لقمتمها من يعبد الله مخلصاً (خالصاً) لرأيت أني مقصر في حقه، ولو منعت الكافر منها حتى يموت جوعاً وعطشاً ثم أذفته شربة من الماء لرأيت أني قد أسرفت»^(٢٩٨).

(٢٩٢) سورة الحجر: ٩٩.

(٢٩٣) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ٩٩ ح ٨٦.

(٢٩٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٩٥ ح ٩.

(٢٩٥) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٤٥ ح ١١.

(٢٩٦) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام: ص ١٠٦، الدعاء: ٢٢.

(٢٩٧) مشكاة الأنوار: ص ٣١٢.

(٢٩٨) عدة الداعي: ص ٢٣٤.

الفهرس

- كلمة المركز ٢
المقدمة ٥
لا زلت مؤيداً بروح القدس ٦
جزاك الله خيراً يا ابن راحة ١٠
بردة الرسول ﷺ ١٢
أين يا أبا ليلي؟ ١٧
شغله القرآن الكريم عن الشعر ٢١
أوتي من الأجر مرتين ٢٣
اللهم حوالينا لا علينا ٢٥
اعذرنا يا أبا فراس؟ ٢٧
الشهادة ببركة دعاء الإمام عليّ السلام ٣٢
والله لقد شهدك الملائكة المقربون ٣٧
إنه على دين الله ٣٩
أحفظنيها جدي رسول الله ﷺ ٤١
أحمل خشبتي على كتفي ٤٩
قبلت هديتك ٥٤
يا غلام سق إليه البغلة ٥٦
دراهم الإمام الرضا عليّ السلام ٥٩
أما سمعت أبيات ابن صيفي ٦١
من لا يحبه فليس بمؤمن ٦٣
مبعوث فاطمة الزهراء عليها السلام ٦٧
مطلعها يناسب سجع الختم ٧١

- ٧٣ خلعة على قبر الرسول ﷺ
- ٧٤ كيف بشر؟ كيف بشر؟
- ٧٦ سأكتب لك حوالة
- ٧٨ استح من وجه علي ﷺ
- ٧٩ لك علينا حقان ...
- ٨١ استعد واقرأ
- ٨٤ الزهراء عليها السلام تنظم مطلع القصيدة
- ٨٦ قصره مقابل قصورنا
- ٨٨ عليك أن تبدأ بالحسن ﷺ
- ٨٩ (أحسنت) .. بماء الذهب
- ٩٣ سقط العرش على الأرض
- ٩٧ الحسين ﷺ أتم له البيت
- ٩٩ يد الإمام الرضا ﷺ تصافحني
- ١٠١ كيف ترجمت أشعاري؟
- ١٠٣ الرسول ﷺ والحجة ﷺ يشاركانه في القصيدة
- ١٠٥ حزين في يوم عيد الغدير
- ١٠٧ أقسم عليك بحق علي ﷺ
- ١٠٩ اذهب إلى الهند
- ١١٠ مسّه الإمام ﷺ فلم يحترق!!
- ١١١ الرؤيا الصادقة
- ١١٢ الطفل الأعمى وبركات زينب عليها السلام
- ١١٣ أصعده جبرائيل وأنزلناه نحن
- ١١٤ كنا حاضرين عند منبر النبي ﷺ
- ١١٦ رؤية الجن
- ١١٨ رأيتك وسمعتك تنشد القصيدة

آيات قرآنية في الإخلاص ١٢٠

روايات في الإخلاص ١٢٢

الفهرس ١٣١